www.kotobarabia.com

حزب الله

النشأة - العمليات - الجهاد - الانتصار

د. محمد مورو

www.kotobarabia.com

حِزْبُ اللّه

النَّشأة – العَمِليَّات – الجِهَاد – الانْتِصَار

د. محمد مورو

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الورقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

فهرس

فهرس..- ٣ -
مقدمة..- ٦ -
الجهاد فريضة شرعية ....- ١١ -
فضل الجهاد والاستشهاد ....- ٢٢ -
أهداف الجهاد وغايته ....- ٢٩ -
النبي المجاهد ﷺ..- ٤١ -
جدلية الجهاد الوعي – التقوى – النهضة..........................- ٤٧ -
الجهاد ماض إلى يوم القيامة.....................................- ٥٣ -
طريق التهلكة وطريق النجاة الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر.....- ٥٦ -
أعداؤنا.. اليوم وغدًا...- ٦٢ -
جهاد المرأة المسلمة ....- ٧٠ -
مدد الله ....- ٧٥ -
المقاومة الإسلامية في لبنان الأيديولوجية والجذور ....- ٩٣ -
حزب الله حلقة من حلقات الكفاح الشعبي الإسلامي ....- ٩٩ -
تحليل مضمون الخطاب الأيديولوجي لحزب الله..................- ١١٢ -
أربعة أيام في بيروت اقتراب إنساني من رجال حزب الله........- ١١٧ -
من الجنوب الصامد يخرج الفجر الجديد ....- ١١٩ -

هزيمة الآلة العسكرية الإسرائيلية في لبنان وآثارها على البنيان العربي- ١٢٩
ألا إن حزب الله هُم المفلحون .... - ١٣٥ -
بدأ زمن زوال إسرائيل .... - ١٨٧ -
"حزب الله الأمل الوحيد للفلسطينيين .... - ١٩٠ -
نصر الله يرد على تهديد إسرائيل المستعمرات تحت أقدام مجاهدينا .. - ١٩٣ -
إسرائيل ستُحمِّل "حزب الله" تبعة أي عمل داخل فلسطين المحتلة... - ١٩٦ -
سلمنا القضاء شبكة تعمل لمصلحة إسرائيل .... - ١٩٩ -
تفاصيل الـ ٨ دقائق التي هزت إسرائيل................................. - ٢٠٢ -
نصر الله يدعو قمة الدوحة إلى عزل إسرائيل .... - ٢٠٧ -
حزب الله الفلسطيني.. - ٢٠٩ -

" إن إسرائيل التي تملك القنابل الذرية والأسلحة الفتاكـة من الطائرات والقذائف الصاروخية.. والله إنها لأوهن مـن بيت العنكبوت"

حسن نصر الله

مُقدِّمة

انتزع حزب الله في لبنان احترام الجميع، الأصدقاء والأعداء على حد سواء.. فالعدو الصهيوني مثلاً يأخذ تهديدات وكلام قيادات حزب الله مأخذ الجد، على عكس الآخرين الذين لا يعيرهم اهتماما ولا اكتراثًا.. وعلى المستوى العربي فإن الجماهير العربية باتت تعتبر حزب الله هو الجزء الحي في النسيج، بل هو الأمل.. فقد أعطاها لحظات عز وكرامة غير مسبوقة، فلأول مرة تنسحب القوات الإسرائيلية دون قيد أو شرط من أراض عربية محتلة، بل تفر فرارا أمام مقاومة باسلة وقادرة على إذلال الأعداء، ليس على المستوى العسكري فقط بل حتى على المستوى الإعلامي، فإعلام حزب الله من إذاعة وتليفزيون وإنترنت استطاع أن يؤثر على نفسية الشعب الإسرائيلي، وأن يحقق نوعا من الهزيمة النفسية للإسرائيليين وذلك بفضل قيام رجاله بتسجيل العمليات المتميزة لحزب الله، وقد شاهد الجميع الجنود الإسرائيليين يبكون بين يدي جنود حزب الله، أو يفرون مذعورين أمامهم كأنهم الجرذان، وهذا أعطانا

كعرب ومسلمين لحظات عز وثقـة بـالنفس، ولا شـك أن سيكون لتلك الثقة بالنفس والعزة التي تراكمت مـن خـلال عمليات حزب الله أثرها في مواقف الجماهير العربيـة، ولا شك أيضا أن تجربة حزب الله ضربت ثقافة التطبيع والسلام ضربة قاصمة لأنها أثبتت أن هناك خيارا آخر غيـر خيـار الخضوع لإسرائيل وهو خيار رابح ومنتصـر. فحـزب الله انتصر وأجبر إسرائيل على الفرار من جنوب لبنان، فلمـاذا نقبل بالذل والعار والتفريط في حقوقنا الوطنية ما دام المـر مرتبطًا بالإيمان والإرادة أولاً وأخيرا. وهكـذا فـإن ثقافـة المقاومة أصبحت هي سيد الموقف على المسـتوى الشـعبي العربي، والإحساس بعدم الأمان أصبح سيد الموقـف لـدى الجمهور الإسرائيلي الذي بات يـدرك أن نهايـة إسـرائيل أصبحت قريبة، فبالضرورة سوف تكون هناك تجارب تستلهم تجربة حزب الله، وعاجلاً أو آجلاً ستمتلك الجماهير العربية أدواتها اللازمة لتكرار تجربة حزب الله هنا وهناك.. اليـوم وغدا وبعد غد، ولن يوقف هذا الزحف شـيئًا، لا التزييـف الإعلامي، ولا محاولات الإساءة إلى حزب الله أو التشويش

على تجربته أو سحب رصيد الثقة من نفوس الجمـاهير أو قمع الجماهير وإرهابها، وكل هذا بفضل حزب الله ورجاله..

أثبت حزب الله أنه بالإمكان هزيمة إسرائيل حتى لو كانت أكبر قوة عسكرية إقليمية وتستند إلـى أكبـر قـوة عالميـة "أمريكا".. وأن الإنسان أقوى من التكنولوچيـا، وأن سـلاح الاستشهاد سلاح لا يمكن مواجهته، وهذا السلاح كفيل بإنهاء إسرائيل لأنه لو تصورنا مثلاً تنفيذ عملية استشـهادية مـرة واحدة كل شهر سواء كانت ناجحة أو فاشلة.. فـإن الـذعر سيدب في نفوس الإسرائيليين لأن اليهود أحرص الناس على حياة خاصة لو استمرت هذه العمليات بشكل منـتظم لمـدة طويلة.. عشر سنوات مثلاً، وبالتالي فمن المتوقع أن تحـدث حالة ذعر عام داخل إسرائيل تؤدي إلـى هجـرة مضـادة وإحساس بالضياع كفيل بتفجير إسرائيل علـى نفسـها مـن الداخل، والتسبب في تفككها.. ومن ثم نهايتها وزوالها، هـذا الكلام ليس نوعا من المبالغة لأن الرئيس الأمريكي الأسـبق رونالد ريجان عندما سئل في الكونجرس عن سبب عدم قدرة أجهزته ومخابراته على منع عملية نسف مقر قيادة البحريـة الأمريكية "المارينز" في بيروت عـام ١٩٨٣ رد بقولـه: إن

جميع الاستحكامات المعروفة في العالم قائمـة علـى فكـرة خوف المهاجم من الموت، فإذا كان المهاجم لا يخاف الموت فإنه لا حل هناك..

قد يتصور البعض أن نجاح حزب الله يجرع مـثلاً إلـى عبقرية رجاله أو كفاءة لهم غيـر مسـبوقة، وهـذا غيـر صحيح.. فالصحيح أنهم أفراد عاديون، وقيـاداتهم لا تتمتـع بأية ميزات شخصية غير عادية، بل هي بركة الجهاد بمعنى أنه لا توجد كاريزما (حضور وجاذبية للشخصية) أو مواهب فذة، بل بركة الجهاد تجعل كل فرد في الحزب بمثابة أكفـأ شخص وأكثر الناس عبقرية في السياسة والحرب والتكتيـك والاستراتيجية وذلك بفضل الجهاد لأن الجهاد هو الذي يفجر الوعي والعبقرية لقوله تعالى:

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهـدينهم سـبلنا وإن الله لمـع المحسنين** ﴾ ومعنى ذلك أنـه لـو قـررت أي جماعـة أو مجموعة استخدام الجهاد ضد إسرائيل كطريق إلى الاستشهاد ورضا الله فإن الله سيوفقهم إلى معرفـة التكتيـك السياسـي الصحيح ويصبح هؤلاء عباقرة في كل مجال، وينتصـرون أيضا على إسرائيل ويحققون أهدافهم، وهـذا المعنـى هـو

العبقرية الحقيقية في تجربة حزب الله القابلة للتكـرار بـأي رجال شرط الإخلاص والرغبة في الجهاد والشهادة..

د. محمد مورو

رمضان ١٤٢١ هـ

الجهاد فريضة شرعية

لا يختلف اثنان على أن الجهاد فريضة شرعية، وفريضة الجهاد أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا ينكرها إلا كافر والعياذ بالله، وهذه الفريضة ثابتة بنصوص قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، وتشغل مساحة كبيرة جدا من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكذلك تشغل مساحة واسعة جدا من السلوك العملي للرسول ﷺ وكذلك سلوك الصحابة والتابعين، والعلماء في كل عصر ومصر مجمعون على فرضية الجهاد، وأنه حالة لازمة للأمة الإسلامية وللفرد المسلم على حد سواء بل وفي كل الحالات في اليسر والعسر في الرخاء وفي الشدة أمس واليوم وغدا وحتى تقوم الساعة.

ونكاد لا نجد فريضة أخرى في الإسلام أخذت كل هذه المساحة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومن سلوك الرسول والصحابة مثل فريضة الجهاد ففي القرآن الكريم مثلا نجد أن الله تعالى قد فصل الآيات في فرضية الجهاد وفي أحواله وغاياته وفضل المجاهدين والشهداء والتحريض على القتال وتحليل أسباب النصر والهزيمة

وتحديد أحكام العلاقات مع الأعداء وقوانين الحرب والسلام والعهود وغيرها ونجد هذا التفصيل أيضا في السنة النبوية المطهرة وكذلك في سلوك الرسول ﷺ وصحابته الأبرار.

وسوف نحاول أن نقدم شيئًا من هذا الخضم الهائل من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية وأقوال العلماء التي تتحدث عن فرضية الجهاد، وذلك على سبيل المثال فقط لأن الإحاطة كلها تحتاج بالطبع إلى مجلدات.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(سورة البقرة الآية ٢١٦... [1]).

---

[1]) نلاحظ أنه في نفس سورة البقرة جاءت عبارة كتب عليكم لتقرر فريضة الصيام كما جاء في قوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ أي فُرض عليكم الصيام.

ويقول تعالى: ﴿ **فَلْيقَاتِلْ فِي سـبِيلِ اللهِ الـذِين يشْـرون الْحياةَ الدنْيا بِالآخِرةِ ومن يقَاتِلْ فِي سبِيلِ اللهِ فَيقْتَلْ أَو يغْلِب فَسوفَ نُؤْتِيهِ أَجرا عظِيما**﴾ (سورة النساء الآية ٧٤)

وسورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبـات فيه وبيان لكثير من أحكامه وحسبك منها قوله تعالى:

﴿**وأَعِدوا لَهم ما استَطَعتُم من قُوةٍ ومِـن ربـاطِ الْخَيـلِ تُرهِبون بِهِ عدو اللهِ وعدوكُم**﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿**يـا أَيهـا النبِي حرضِ الْمؤْمِنِين علَى الْقِتَالِ إِن يكُن مـنْكُم عِشْـرون صابِرون يغْلِبوا مِائَتَين وإِن يكُن منْكُم مائَةٌ يغْلِبوا أَلْفًا مـن الَّذِين كَفَروا بِأَنهم قَوم لا يفْقَهون**﴾ (الآيات: ٦٠-٦٥)

وسورة التوبة كلها أيضا حث على القتال وبيان أحكامـه ومنها قوله تعالى:

﴿ **قَاتِلُوهم يعذِّبهم اللهُ بِأَيدِيكُم ويخْزِهِم وينْصركُم علَـيهِم ويشْفِ صدور قَومٍ مؤْمِنِين.ويذْهِب غَيظَ قُلُوبِهِم ويتُوب اللهُ علَى من يشَاء واللهُ علِيم حكِيم**﴾ (الآيتان: ١٤، ١٥)

و قوله تعالى ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِين لاَ يؤْمِنُـون بِـاللهِ ولاَ بِـالْيومِ الآخِرِ ولاَ يحرمون ما حرم اللهُ ورسولُه ولاَ يـدِينُون دِيـن**

الحق مِن الذِين أُوتُوا الْكِتَاب حتى يعطُوا الْجِزيةَ عن يدٍ وهم صاغِرون﴾ (الآية: ٢٩)

وقوله تعالى: ﴿**انْفِروا خِفَافًا وثِقَـالاً وجاهِـدوا بِـأَموالِكُم وأَنْفُسِكُم فِي سبِيلِ اللهِ ذَلِكُم خير لكُم إِن كُنْتُم تعلَمون**﴾

(الآية: ٤١)

وفي التنديد بالقاعدين والمتخلفين عن الجهاد قوله تعالى:

﴿ **فَرِح الْمخَلَّفُون بِمقْعدِهِم خِلَافَ رسولِ اللهِ وكَرِهوا أَن يجاهِدوا بِأَموالِهِم وأَنْفُسِهِم فِي سبِيلِ اللهِ وقَالُوا لاَ تَنفِـروا فِي الْحر قُلْ نَار جهنم أَشَد حرا لو كَانُوا يفْقَهون.فَلْيضحكُوا قَلِيلاً ولْيبكُوا كَثِيرا جزاء بِما كَانُوا يكْسِبون**﴾

وقوله تعالى: ﴿.**لَكِن الرسولُ والذِين آمنُوا معه جاهـدوا بِأَموالِهِم وأَنْفُسِهِم وأُولَئِـك لَهـم الْخَيـراتُ وأُولَئِـك هـم الْمفْلِحون**﴾ (التوبة ٨١-٨٢)

ثم قوله تعالى: ﴿**إِن اللهَ اشْتَرى مِن الْمؤْمِنِين أَنْفُسـهم وأَموالَهم بِأَن لَهم الْجنةَ يقَاتِلُون فِـي سـبِيلِ اللهِ فَيقْتُلُـون ويقْتَلُون وعدا علَيهِ حقا فِي التوراةِ والإِنْجِيلِ والْقُرآن ومن أَوفَى بِعهدِهِ مِن اللهِ فَاستَبشِروا بِبيعِكُم الذِي بايعتُم بِهِ وذَلِك هو الْفَوز الْعظِيم**﴾ (التوبة: ١١١)

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ (الصف: ٤)

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾

(التوبة الآية ١٢٢)

وعلى أية حال، فإن المساحة الواسعة التي خصصت للجهاد في القرآن الكريم تضم سورا بكاملها مثل التوبة والأنفال والفتح بالإضافة طبعا إلى الكثير من الآيات في السور الأخرى بل لقد: أطلق على سورة كاملة اسم سورة القتال.

أما في السنة النبوية المطهرة، فالأحاديث عن الجهاد أكثر من أن تحصى، وعلى سبيل المثال قول الرسول ﷺ (من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق) رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة.

وقوله ﷺ (اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم وأبو داود.

وقوله ﷺ (والذي نفسي بيده لولا أن رجال من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه، ما

تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والـذي نفسـي بيـده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتـل ثم أحيا ثم أقتل) رواه البخاري ومسلم.

وقوله ﷺ في إطار الاهتمام بإعداد المعـدات العسـكرية المختلفة واللازمة للحرب (من احتبس فرسا فـي سـبيل الله إيمانا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه في ميزانه يوم القيامة).

وقوله ﷺ (غزوة في البحر مثل عشر غزوات فـي البـر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمـه فـي سـبيل الله سبحانه) رواه ابن ماجه.

وقوله ﷺ (وفد الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمـر) رواه مسلم.

وقوله ﷺ (إذا تبايعتم بالنسيئة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعـه عـنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)

رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

وفي أقوال العلماء والفقهـاء نجـد أن جميـع المـذاهب المعتمدة وكذلك العلماء السابقين واللاحقين قد أجمعوا علـى

فرضية الجهاد وفصلوا أحكامه وسوف نورد شيئًا منها على سبيل المثال.

ففي مذهب أبي حنيفة قال صاحب "مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر" مقررا أحكام الجهاد في مذهب الأحناف (الجهاد في اللغة بذل ما في الوسع من القول والفعل وفي الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم والمراد الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا والمرتدين هم أخبث الكفار للنقض بعد الإقرار والباغين، بدءا منا فرض كفاية يعني يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة وإن لم يقاتلونا فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية إعانته وإذا قام به بعض سقط عن الباقين فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة، أما الفريضة فلقوله تعالى:

﴿ **قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام (الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة وإن تركه الكل أثموا...) إلى أن قال: (فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية

من نواحيها ففرض عين فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه والغريم بغير إذن دائنه).

وفي كتاب البحر (امرأة مسلمة سبيت بالمشـرق وجـب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم).

وفي مذهب الإمام مالك قال صاحب "بلغة السالك لأقرب المسالك" في مذهب الإمام مالك (الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية إذا قام به البعض سـقط عن الباقي وبتعين [أي يصير فرضا عليه كالصلاة والصوم] بتعيين الإمام وبهجوم العدو على محلة قوم فيتعـين علـيهم وعلى من بقربهم إن عجزوا ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولي والزوج والسيد ورب الـدين إن كان مدينًا ويتعين أيضا بالنذر، وللوالدين المنع منه في فرض الكفاية فقط، وفك الأسير من الحربيين إن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين).

وفي مذهب الشافعي فيقول الإمام النووي الشافعي في متن المنهاج (كان الجهاد في عهد رسول الله ﷺ فرض كفاية وقيل عين وأما بعده فللكفار حالات أحدها: يكونون ببلادهم فرض

كفاية إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين والثاني يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وإن أمكن التأهب للقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن).

وفي المذهب الحبنلي، يقول ابن قدامة الحنبلي في المغنى (والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين ويتعين [أي يصبح فرضا عليه] في ثلاثة مواضع هي: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف و يتعين عليه المقام، وإذا نزل الكفار ببلدة تعين [أي أصبح فرض عين] على أهل قتالهم، وإذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير معه وأقل ما يفعل مرة كل عام).

وفي المذهب الظاهري يقول ابن حزم في المحلى (والجهاد فرض على المسلمين فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين وإلا فلا قال الله تعالى:

﴿انْفِروا خِفَافًا وثِقَالاً وجاهِدوا بِأموالِكُم وأَنْفُسِكُم﴾ ولا يجوز إلا بإذن الأبوين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم معينًا لهم أذن

الأبوين أم لم يأذنا إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده فلا يحل لـه ترك من يضيع منهما).

وقال الشوكاني في السيل الجرار (الأدلـة الـواردة فـي فرضية الجهاد كتاب وسنة أكثر من أن تكتب ها هنا ولكـن ذلك على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقين وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عين على كل مكلف وهكذا يجـب على من استنفره الإمام أن ينفر ويتعين ذلك عليه).

ويقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة الجهاد (أجمـع أهل العلم مجتهدين ومفكرين سلفيين وخلفيين على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر الدعوة وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها والمسلمون الآن كما نعم مسـتذلون لغيرهم محكومون بالكفار قـد ديسـت أرضـهم وانتهكـت حرماتهم وتحكم في شئونهم خصومهم وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم فضلاً عن عجزهم عن نشـر دعـوتهم فوجـب وجوبا عينيا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطـوي على نية الجهاد وإعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمرا كان مفعولاً).

ومما سبق يتضح أن الجهاد فريضة شرعية وأنه ماض ومستمر إلى يوم القيامة وأن الجهاد في الأصل هو الهجوم على الكفار لنشر دعوة الإسلام وإعلان كلمة الله وأنه يجب على الأقل أن يكون مرة في العام، وأنه في هذه الحالة يكون فرض كفاية.

أما في حالة الاستثناء وهو أن يحصل العكس فيهاجم الكفار المسلمين أو يحتلون أرضهم فإنه يصبح في تلك الحالة فرض عين على كل مسلم ومسلمة بل يصبح من حق الزوجة أن تخرج للجهاد بدون إذن زوجها، والولد بغير إذن أبويه والعبد بدون إذن سيده ولمدين بغير إذن دائنه.

ولا شك أننا الآن في الحالة الثانية، لأن الكثير من أراض المسلمين محتلة مثل فلسطين والأندلس وغيرهما، ولأن الكثير من المسلمين يعانون من الظلم والقهر في أكثر من مكان من العالم مثل الفلبين وكشمير والهند وغيرها، ولأن هناك حالة من الهيمنة الغربية والأمريكية على بلادنا، وهذا كله يجعل الجهاد الآن فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

فضل الجهاد والاستشهاد

الجهاد من أعظم فرائض الإسلام، وأكثرها ثوابا عنـد الله تعالى، ويقع الجهاد كفريضة في أعلى القمة مـن الفـرائض الإسلامية، وهو خير في الدنيا وفي الآخرة.

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيهما الكثير مـن الفضل المنسوب للجهاد وكذلك الثواب المرتجى للمجاهـدين عموما والشهداء خصوصا.

فمن ناحية أن الجهاد خير وبركة يقول الله تعالى: ﴿ **كُتِب عليكُم الْقِتَالُ وهو كُره لكُم وعسى أَن تَكْرهوا شَيئًا وهو خَير لكُم**﴾.. البقرة ٢١٦

ولا شك أن الجهاد خير وبركة، ولا يمكن لأمة أن تحيـا بكرامة وعزة إلا بإعداد نفسها للجهاد، والجهاد يحقق للمسلم التوازن النفسي ويجعله قادرا على الإبداع الحضاري بل إن هناك حقيقة تاريخية هي أن الإبداع الحضـاري للمسـلمين ارتبط بالجهاد فإذا ما قاموا بواجب الجهاد تقدموا فـي كـل مجال وإذا ما تخلفوا عن هذا الواجب تخلفوا وانحطوا في كل مجال.

والجهاد هو الطريق إلى الرحمة والمغفرة يقول الله تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير. ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون. ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾** (سورة آل عمران الآيات ١٥٦/ ١٥٨)

ويقول تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران ١٦٩) ويقول تعالى:

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾.. (النساء ٧٤)

ويقول تعالى: **﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾**.. (التوبة ٨٨، ٨٩)

والجهاد أيضا طريق إلى العزة في الدنيا.. يقول الله تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا. ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما**﴾..(الفتح ١٨، ١٩)

بل إن الجهاد من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، يقول الله تعالى:

﴿**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.. (التوبة ١٩)

وفي الحديث الشريف، يقول رسول ﷺ (والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم من يكلم [أي يجرح] في سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك).. رواه النسائي والبخاري وأحمد ومسلم والترمذي ومالك في الموطأ والدرامي مع اختلاف في ترتيب الكلام في المتن واتفاق في المعنى.

ويقول أيضا (اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) أخرجه الشيخان وأبو داود وعن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال (لا تستطيعونه) فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثة كل ذلك يقول: (لا تستطيعونه) ثم قال: (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد) أخرجه الستة إلا أبو داود.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس.. إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوي بشيء منه) رواه النسائي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى) رواه الترمذي. وعن أبي عميرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لأن أقتل في سبيل الله أحب إلى من أن يكون لي أهل المدر والوبر).

رواه أحمد بن حنبل.

عن راشد بن سعد رضي الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المـؤمنين يفتنـون فـي قبورهم إلا الشهيد؟

فقال: (كفاه ببارقة السيوف على رأسـه فتنـة) أخرجـه النسائي.

وعن فضل الإنفاق في أمور الجهاد قال رسول ﷺ: (مـن أنفق في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال مـر رجـل مـن أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عينان مـن مـاء عـذب فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامـا، ألا تحبـون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله، من قاتـل في سبيل الله فواق [أي قدر وقت حلب الناقة] ناقة وجبت له الجنة) رواه الترمذي.

وعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول ﷺ: (للشـهيد عند الله ست خصال يغفر له من أول دفعة ويرى مقعده مـن الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع

على رأسه تاج الوقار.. الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشـفع فـي سبعين من أقربائه) رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه وتعالى كانـت كـألف ليلـة صامها وقامها) رواه ابن ماجه.

وعن أنس عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قـال: (لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فاكفه على رحله غـدوة أو روحة أحب إلى من الدنيا وما فيها) رواه ابن ماجه.

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول ﷺ: (يشفع الشهيد فـي سبعين من أهل بيته) رواه أبو داود.

وهكذا فإن الجهاد منزلة عظيمة وهو طريق الفـوز فـي الدنيا والآخرة، لدرجة أن المتصوفة المنقطعين إلى العبـادة كانوا لا يتركون الجهاد بل يحرصون عليه وكذلك العلمـاء الذين وهبوا حياتهم للعلم والتعليم، فقد كـان عبـد الله بـن المبارك الفقيه الزاهد متطوعا في أكثر أوقاته بالجهاد وكـان عبد الواحد بن زيد الصوفي الزاهد يجاهد دائما، وكذلك كان شقيق البلخي شيخ الصوفية يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد

وكان البدر العيني شارح البخاري الفقيه المحدث يغزو سـنة ويدرس العلم سنة ويحج سنة وكان القاضي أسد بن الفـرات المالكي أميرا للبحر في وقته، وكان الإمام الشـافعي يرمـي عشرة ولا يخطئ.

أهداف الجهاد وغايته

الغاية العليا للمسلم هي إرضاء الله تبارك وتعـالى، ثـم دخول الجنة ثم إن هناك غايات أخرى في كل عمل، والجهاد يكون إرضاء لله تعالى ثم للفوز بالجنة، ثم لنشر دين الله في الأرض والقضاء على الفساد والطغيان والظلم والاستكبار في كل مكان وزمان.

والجهاد لا يكون إلا في سبيل الله أما غير ذلك فلا يكون جهادا، إذا فلابد من توافر النية في الجهاد بأن يكـون فـي سبيل الله، وليس للمغنم أو الذكر الحسن أو غير ذلك.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسـول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلـك في سبيل الله، قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهـو في سبيل الله) أخرجه الخمسة.

وعن أبي هريـرة رضـي الله عنـه أن رجـلاً قـال: يا رسول الله: رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهـو يبغـي عرضا من الدنيا فقال: لا أجر له. فأعادها عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: لا أجر له.. أخرجه أبو داود.

والجهاد يكون من أجل هداية الناس إلى الإسلام، عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي فسبقت أصحابي فتلقاني أهل الحي بالرنين فقلت لهم قولوا لا إله إلا الله تحرزوا فقالوها، فلامني أصحابي وقالوا حرمتنا الغنيمة، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبروه بالذي صنعت فدعاني فحسن لي ما صنعت، ثم قال لي ألا إن الله قد كتب لك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر وقال أما إني سأكتب لك بالوصاية بعدي ففعل وختم عليه ودفعه إلى) أخرجه أبو داود.

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا**﴾... (سورة النساء الآية ٧٦)

ويقول الله تعالى: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾.. (سورة الأنفال الآية ٣٩)

ويقول أيضا: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**﴾... (سورة البقرة الآية ١٩٣)

إذن فمن أغراض الجهاد القضاء على الفتنة وجعل الدين كله لله، ومن أغراضه أيضـا الـدفاع عـن المستضـعفين وتخليصهم من أسباب الاستضعاف.

يقول الله تعالى: ﴿ **وما لكم لا تقـاتلون فـي سـبيل الله والمستضعفين من الرجال والنسـاء والولـدان**﴾..(سـورة النساء الآية ٧٥)

ومن أهداف الجهاد إقامة الحجة على النـاس يقـول الله تعالى:

﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبـاكم ومـا جعـل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبـراهيم هـو سـماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شـهيدا علـيكم وتكونوا شهداء على الناس**﴾..... (الحج:٧٨)

والجهاد واجب على المسلمين ويجب أن يقوموا به في كل مكان على وجه الأرض فهذا عقبة بن نافع يخوض بفرسـه شاطئ المحيط الأطلسي حتى تسيخ قوائم فرسه فـي مياهـه ويقول:

(والله لو أعلم أن خلف هذا البحر أرضا لذهبت غازيا في سبيل الله). وربعي بن عامر وحذيفة بن محصن والمغيرة بن

شعبة حينما سألهم رستم قائد الفرس عـن سـبب غـزوهم لبلادهم سألهم كلا على حدة فكان جـوابهم جميعـا (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحـده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الـدنيا إلـى سعتها..)

وإذا أضفنا إلى تلك النصوص قوله تعالى:

﴿ **لاَ إِكْراه فِي الدين قَد تبين الرشْد مِن الْغَي**﴾.

وكذلك قوله تعالى ﴿ **الذِين إِن مكناهم فِي الأَرض أَقَاموا الصلاةَ وآتَوا الزكَاةَ وأَمروا بِالْمعروفِ ونَهوا عن الْمنكَـر وللهِ عاقِبةُ الأُمور**﴾.. (الحج: ٤١)

وكذا قوله تعالى: ﴿ **تِلْك الدار الآخِرةُ نَجعلُهـا لِلـذِين لاَ يريدون علُوا فِي الأَرض ولاَ فَسادا والْعاقِبةُ لِلْمتقِـين**﴾.... (سورة القصص الآية ٨٣)

وقول الإمام علي كرم الله وجهه (لا تكن عبدا لغيرك وقد خلقك الله حرا) ثم قول الفاروق عمر رضي الله عنه (متـى استعبدتهم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).

وإذا أضفنا تلك النصوص لبعضها ظهرت لنـا ملامـح منهج كامل لفهم غايات الجهاد وأهدافه فالجهاد في أصله هو

الغزو والهجوم على الكافرين في كل مكـان وزمـان لـيس بهدف إكراههم على الإسلام ولكن بهدف تحريـر الإنسـان ووضعه في موضع الاختيار الحر فيختار ما يشاء من إسلام دون إكراه.

ولكن ما دام الأمر كذلك، فلماذا يحرص الإسـلام علـى الغزو والهجوم على الكافرين والرد على ذلك بسيط للغايـة وهو أن النظم الكافرة نظم طاغوتية في جوهرها تُكره الناس على الكفر أو عبـادة الحكـام أو تقيـيم علاقـات سياسـية واقتصادية واجتماعية ظالمة ينبغي على المسـلمين القضـاء عليها لأن تلك العلاقات تحول بين الإنسـان وبـين حريـة الاختيار، وصحيح أنه بمجرد تحقيق الاختيار الحر للإنسـان فإنه يختار في الغالب الإسلام، إلا أن ذلك يحدث لسبب بسيط هو أن الإسلام دين الفطرة.. وبكلمة أخرى فإن الإنسان خُلق على فطرة الإسلام، كما أن الكون والإنسان نفسـه يحتـوي على الكثير من الآيات التي تقود الإنسان حتما إلى الإيمـان بالله وإلى اعتناق الإسلام دينًا وذلك إذا كان هذا الإنسان غير خاضع لأي شكل من أشكال القهر والظلم.

ولأن القوى الشيطانية الطاغوتية تعرف ذلك فإنها تقيم من الأنظمة والعلاقات والقوانين ما يحول دون ذلك فهـي تُقـيم نظما سياسية استبدادية تقهر الناس ولا تعطيهم حرية التفكير والحوار، وهي تُقيم نظما سياسية استبدادية تقهر النـاس ولا تعطيهم حرية التفكير والحوار، وهي تُقيم نظمـا اقتصـادية واجتماعية ظالمة بحيث تجعل الإنسان غير حر في اختيـاره تحت ضغط القهر الاقتصـادي والاجتمـاعي، وهـي تُقـيم علاقات اجتماعية شاذة وكذا تقدم إعلاما ودعاية فاسدة وتُشيع الفساد الأخلاقي وكذلك ذلك من أجـل ألا تسـمح للإنسـان بالاختيار الحر، أو التعامل وفق الفطرة، أو التدبر في آيـات الكون والنفس.

ومهمة وهدف الجهاد وغايته هنا هو القضاء على كل هذه الأنظمة والعلاقات الظالمة ووضع الإنسـان علـى طريـق الاختيار الحر بلا قهر أو إكراه، وهنا نفهـم قولـه تعـالى ﴿قَاتِلُوهم حتى لاَ تَكُون فِتْنَةٌ﴾ لأن النظم والعلاقات والقوانين الطاغوتية بما تمثله من استبداد سياسي أو ظلـم اقتصـادي واجتماعي أو إعلام منحرف وموجه أو علاقـات أخلاقيـة منحطة أو ولاء اجتماعي شاذ إنما هـي نـوع مـن الفتنـة

للإنسان، أما قوله ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ فهذا أمر يتحقـق تلقائيا لأن الإنسان إذا ما ارتفع عنه سـيف القهـر والظلـم والتوجه الإعلامي الفاسد والولاءات الاجتماعية الضـيقة أي إذا ما تحققت له حرية الاختيار فبديهي أنه يختار الفطرة أي يختار الإسلام فيكون الدين كله لله، وهـذا يؤكـد قـول الله تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَـيِّ** ﴾ أي بعد تحقيق هدف الجهاد من إزالة كل المعوقات التي تحـول بين الإنسان وبين الاختيار فإن الرشد تبين من الغي ولـيس هناك إكراه وليختر كل إنسان ما شاء من دين.

إذن فهدف الجهاد هو تحرير الإنسان.. تحريره من فتنـة القهر السياسي والظلم الاقتصادي والولاء الاجتماعي الضيق، إذن فهو للقضاء على الفتنة ﴿**قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَـةٌ**﴾ وهو لرفع أسباب الاستضعاف عن المستضعفين ﴿ **وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاءِ وَالْوِلْدَانِ**﴾ وهو إذن لإقامة الحجة على الناس بجعلهـم فـي موقف الاختيار الحر ﴿ **لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾.... (الحج: ٧٨)

وهو إذن لإخراج من شاء من عبادة العباد إلى عبـادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الـدنيا إلى سعتها..) كما قال ربعي بن عامر ورفيقاه لرسـتم قائـد الفرس.

وهو لتحقيق العدل في الأرض والقضاء على الفساد فيهـا (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) وهو لإقامة نظـام يسـود فيـه المعروف ويمتنع فيه المنكر:

﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عـن المنكـر ولله عاقبـة الأمور**﴾.

وهو ليس للمغنم بل للهداية وهو لاستعادة الإنسان لحريته التي خلقه الله عليها (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكـذلك قول الإمام علي كرم الله وجهه: (لا تكن عبدا لغيـرك وقـد خلقك الله حرا).

وهو في النهاية لتحقيق حرية الاختيار ومنع ورفع الإكراه عن الناس.

﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾.

ومن خلال كل هذا فإن الجهاد في أصله، وكما وضحت الآيات والأحاديث وأقوال العلماء هو حالة هجوم وغزو مستمر على الكفار لتحقيق التحرير الكامل للإنسان من كل قهر وظلم ووضعه على طريق الاختيار الحر وهكذا نفهم قول عقبة بن نافع (والله لو أعلم أن خلف هذا البحر أرضا لذهبت غازيا في سبيل الله).

وإذا كان هدف الجهاد في الأصل هو الغزو والهجوم، فما هو الشأن في حالة تعرض بلاد المسلمين لاحتلال من قبل الكفار مثلاً وبالتالي تحتاج للدفاع والذود عنها هل يدخل الدفاع هنا في باب الجهاد؟

والإجابة نعم بكل تأكيد لأن الدفاع عن أرض المسلمين هنا يشمل الحفاظ على أرض تتحقق فيها حرية الاختيار أولاً وهو محافظة على قاعدة للغزو والهجوم لتحقيق حرية الاختيار للآخرين ثانيا، وبالتالي فهو جهاد، إلا أنه في هذا الحالة يكون فرض عين على كل مسلم ومسلمة لأن الحفاظ على الأرض المحررة من الوقوع في أيدي المشركين والكفار المستبدين والظالمين أوجب وأكثر أهمية بالطبع،

وبالتالي فكل حركة تحرر وطني في بلاد المسـلمين ضـد الاستعمار المباشر أو غير المباشر هي في سبيل الله ما دامت النية المعقودة للمقاتلين هي الجهاد في سبيل الله للحفاظ على أرض إسلامية ليس فيها إكراه بل هي قاعدة للانطلاق لرفع الإكراه والظلم والقهر من فوق الأراضي الأخرى.

ومما يؤكد هذا المفهوم أن الشريعة الإسلامية حددت ثلاثة خيارات أمام المشركين إذا ما غزاهم المسلمون فإما الإسلام وإما الجزية وإما القتال، والجزية هي الانصـياع والقبـول بحرية الدعوة في الأراضي التي تقبل دفع الجزية وبالتـالي تحقيق حرية التفكير وحرية الاختيار فيها، فأما إذا رفضـت دفع الجزية فإن معنى ذلك استمرارها في منع حرية الـدعوة وبالتالي وجب قتالها لتحقيق حرية الدعوة وحرية الاختيـار بدون إكراه، ولو كان الأمر مجرد إكراه الناس على الإسلام مثلاً لاقتصر الأمر على الإسلام أو القتال فقط، ولكن

اشتمال الخيارات على الجزية يؤكد المفهـوم الإسـلامي الصحيح في الجهاد وهو تحقيـق حريـة الاختيـار للبشـر ليختاروا ما شاءوا من دين وعقيدة، وبديهيـة أن معظمهـم يختار الإسلام طواعية لأن الإسلام دين الفطـرة فـإذا مـا

اختاروا الإسلام أصبحوا جزءا من كيانه الحضاري وكـان عليهم الجهاد هم أيضا من أجل تحقيق نفـس الهـدف ولأن الأمر كذلك فإن الإسلام لا يفرق بين الأبي والأحمر والأسود ولا يعترف بقومية أعلى من قومية أخرى أو جنس أعلى من جنس آخر بل الجميع سواء كأسنان المشط ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى بل إن الحضـارة الإسـلامية هـي الحضارة الوحيدة التي شهدت قوادا وولاة وزعماء وخلفـاء من عرب وترك وفرس وأبيض وأسود وأحمر هوي أيضـا الحضارة الوحيدة التي تغلبت على العالم كله بالسيف والقـوة في وقت من الأوقات ومع ذلك لم تفرض على الجميع دينهـا بل بقى داخـل البلـدان الإسـلامية المسـيحي واليهـودي والمجوسي دون خوف من بطش أو إكراه. وهذا دليل قـوي على أن الإسلام فرض الجهاد لتحقيـق التحريـر وحريـة الاختيار وليس إكراه الناس على الدخول في الإسلام بالسيف وسيظل الجهاد إن شاء الله تعالى هجوما وغزوا في أصـله لتحقيق حرية الاختيار والقضاء على عوامل الفتنة والإكـراه والفساد ولن يفلح المشككون في تفسيره وتزييفه على غيـر

هذا الوجه حتى ولو كانت أمور المسلمين حاليـا لا تسـمح بذلك.

وإذا كنا الآن نعاني من التفوق والتشرذم، والوقـوع فـي الهيمنة الغربية فإننا مطالبون أولاً بالجهـاد لحمايـة بلادنـا ووحدتنا ثم مطالبون بعد ذلك باستكمال رسالتنا في تحريـر الإنسان في أي مكان وزمان على الأرض أو حتـى علـى الكواكب الأخرى إن وجدت فيها حياة عاقلة.

النبي المجاهد ﷺ

أولى النبي ﷺ الجهاد اهتماما كبيرا، بل نكـاد نـرى أن الجهاد كان الشاغل الأكبر للرسول ﷺ خاصة بعد هجرته إلى المدينة وحتى موته، وكان اهتمام الرسول ﷺ بالجهاد يشـمل التعبئة المستمرة للمسلمين وجعلهم في حالة يقظة مسـتمرة، وترغيبهم في الاستشهاد والاهتمام بتوحيد صفوفهم والقضاء أولاً بأول على المؤامرات التي يدبرها المنافقون لشق الصف الإسلامي، وكذلك في شراء السلاح والخيل وغيرها، وكذلك في إرسال السرايا الصغيرة والجيـوش الكبيـرة بصـورة مستمرة لم تنقطع أبدا إلى كل مكان في الجزيرة العربية بـل وخارج الجزيرة العربية، بل وحتى في غيبوبة مرض الموت كان الرسول ﷺ كلما أفاق سأل عن جيش أسامة بن زيد هل تم خروجه أم لا..

وإذا ما تتبعنا المعارك والغزوات والسرايا المشهورة فـي العشر سنوات التي قضاها في المدينة نجـدها مـن الكثـرة والتنوع بحيث إنها غطت كل تلك المساحة الزمنية وغطـت أيضا كل مكان في الجزيرة العربية وفي خـارج الجزيـرة

العربية في الشام والعراق، ونلاحظ أنها كلها كانـت خـارج المدينة المنورة ما عدا غزوة الخندق مما يدل على أن الأصل في الجهاد هو الغزو والخروج وليس الدفاع.

كان الرسول ﷺ قد أخذ البيعة من ممثلي المدينة المنـورة على الحرب في بيعة العقبة الثانية وهذه البيعة تسمى بيعـة الحرب أيضا، أي أنه كان يعد العدة للجهاد والحـرب حتـى قبل أن يدخل المدينة ويقيم فيها المجتمع الإسلامي الأول.

ولقد بدأت السرايا والغزوات والمعارك بعد اثني عشـر شهرا فقط من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وقـد قضـى الرسول تلك الشهور في إعداد المجتمع الإسلامي في المدينة لما ينتظره من الجهاد والغزو والقتال وكانت أول الغـزوات هي غزوة (الأبواء) على رأس اثني عشر شهرا من مقدمـه إلى المدينة ثم تتالت الغزوات والسرايا والمعارك ونذكر منها سرية عبيدة بن الحارث، ثم سرية حمزة إلى سيف البحر ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم سرية سعد بن أبي وقـاص ثم غزوة سنوان وهي غزوة بدر الأولى ثم سرية عبد الله بن جحش ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم بالكـدر ثـم غزوة السويق ثم غزة ذي أمر ثم غزوة الفرع من بحران ثم

غزوة بني قينقاع ثم سرية زيد بن حارثة إلى القردة منميـاه نجد، ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الأسد ثم يوم الرجيع ثـم غزوة بئر مؤنة ثم غزة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الآخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم الخروج إلى الحديبية ثم غزوة خيبر ثم غزوة مؤتة إلى الشام ثم فتح مكة ثم معركة حنين ثم غزة تبوك لغزو الروم ثم سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ثم غزوة خالد بن الوليد إلى بني الحارث ثم بعث أسـامة إلـى أرض فلسطين.

وهكذا فإن المسلمين في حياة الرسول لم ينقطعوا قط عن الغزو والقتال والسرايا والبعوث، بل نكاد نقول إنه لم يمـر يوم على المسلمين منذ العام الثاني للهجرة ولـم يكونـوا أو بعضهم في سرية أو غزوة أو معركة كبرى مع قوى الشرك أو الكفر داخل الجزيرة العربية وخارجها.

ولعله من المفيد هنا أن نذكر أمثلة من شجاعة الرسول ﷺ النادرة أو كفاءته القتالية الفذة وخاصة في اللحظات الحرجـة من المعارك مثل معركة أحد ومعركة حنين.

ففي معركة أحد، وعندما مال الميزان العسكري لصـالح قريش وكاد المسلمون ينهزمون هزيمة منكرة، كان للموقـف الشجاع والقتال الباسل الذي قام به الرسول ﷺ أبلغ الأثر في تقليل حجم الهزيمة وتحقيق التماسك لجيش المسلمين، ذلك أن الرسول ﷺ كان في مفرزة صغيرة من المقـاتلين المسـلمين (حوالي تسعة) عندما وجد فرسان قريش قيادة خالد بن الوليد قد طوقت جيش المسلمين من الخف بعد أن تخلـى الرمـاة المسلمون عن مواقعهم التي كان الرسول ﷺ قد أمرهم بعـدم تركها مهما كان المر وكان معنى هذا أن الجيش الإسـلامي في خطر شديد، وكان أمام الرسول ﷺ طريقان فإما أن ينجو وأصحابه التسعة إلى ملجأ مأمون، وإما أن يثبت في مكانـه وينادي المسلمين ليلتفوا حوله، وفي ذلك بالطبع خطر علـى حياته لأن المشركين سيسمعون صوته ويصلون إليه قبل أن يصل إليه المسلمون واختار الرسـول ﷺ بـالطبع الطريـق الثاني ووقف في مكانه، ونـادى علـى المسـلمين والتـف المشركون حوله؛ فأخذ الرسول ومن معه يقاتلون قتالاً شديدا تبدت فيه روح التفاني والتضحية والشجاعة من هؤلاء النفر من الصحابة وتبدت فيه شجاعة الرسول ﷺ وكفاءته القتاليـة

العالية، واستمر ضغط المشركين على الرسول ومـن معـه ولكن هذا لم يزد الرسول ومن معه إلا شـجاعة وتضـحية واستمر الرسول يقاتل ومن معه قتال الأبطال حتى اسـتطاع أن يشق في النهاية طريقًا بين المشـركين ويلـتحم بجـيش المسلمين فيعرف المسلمون أنه مازال حيا وترتفـع روحهـم المعنوية، ويتحقق التماسـك والانسـحاب المـنظم للجـيش الإسلامي ولولا ذلك الموقف من الرسول ﷺ ومن معه لتبدد جيش المسلمين ولكانت الهزيمة مروعة.

وفي موقعة حنين وحينما اندفع جيش هـوازق وباغـت المسلمين وفقد جيش المسلمين توازنه ولاذ الجميع بالفرار ما دعا رسول ﷺ وعددا قليلاً من أصحابه وكانوا بضعة عشـر رجلاً، ووقف الرسول شامخًا كالطود صامدا كالجبال يقاتـل ومن معه، الألوف من الرجال، وينادي على المسلمين الذين تفرقوا في كل اتجاه يا أصحاب سورة البقـرة يـا معشـر الأنصار يا أصحاب السمرة حتى تجمع جيش المسلمين مـن جديد حول النبي الذي كان يقاتل وهو يصيح:

أنا النبي لا كذب، أنا بن عبد المطلب.

واستمر تجمع المسلمين حول الرسـول الصـامد حتـى استطاع جيش المسلمين أن يهزم الكافرين هزيمـة منكـرة، وهكذا استطاع الرسول بشجاعته وفدائيته أن يحول الهزيمـة والفرار إلى نصر كبير، وإذا تركنا هذه المواقف لنلمح موقفًا آخرا في معركة الخندق، نرى أن الرسول ﷺ كان يشـارك المسلمين في العمل وكان يشاركهم في الجوع ولا ينفرد عنهم بطعام أو شراب، قال أبو طلحة شكونا إلى رسول ﷺ الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول ﷺ عن حجـرين) رواه البخاري.

جدلية الجهاد
الوعي – التقوى – النهضة

إذا تأملنا قول الله تعالى:

﴿ **جاهدوا فِينَا لنَهدِينهم سبلَنَا وإن اللهَ لَمع الْمحسِـنِين**﴾ (سورة العنكبوت الآية ٦٩)

الغزو والهجوم لإعلاء كلمة الله، وبين وعـد الله تعـالى لهؤلاء المجاهدين بأن يهديهم سبله، أن يهديهم إلـى الـوعي والتقوى والنهضة والفوز في الدنيا والآخرة.

ويمكننا أن نقول إن هناك علاقـة جدليـة بـين الجهـاد والوعي، فالجهاد في سبيل الله يفجر الوعي، والوعي يـؤدي إلى اختيار طريق الجهاد، فمن أراد امتلاك الوعي فليجاهـد ومن أراد أن يجاهد فليمتلك الـوعي، فالجهـاد نـوع مـن الاحتكاك بقوة مع الآخرين، ويمكن للإنسان أن يكشف الكثير من الحقائق والسنن من خلال الاحتكاك والغـزو والهجـوم، لأنه أولاً سفر في الأرض وهو ثانيا احتكاك بأناس آخـرين وهذا طريق لا شك فيه للوعي، ثم هو طاعة لله وهذا طريق لأنه يفتح الله على المجاهد أسباب الفهم والوعي ودقة التحليل

وشمولية المعرفة ثم إن حاجات المجاهد تستدعي الحاجة إلى الاختراع والابتكار ومن المعروف أن الحروب كانت سـببا في كثير من المخترعات العلمية وهناك أيضا علاقة جدليـة بين الجهاد والتقوى، لأن الجهاد تحقيق لأمر الله وهـذا أول نوع من التقوى، ثم أنه يضع النفس والمال في محك خطير، فالإنسان الذي هو مستعد للتضحية بالنفس والمال ومعـرض للموت في أي لحظة يشتد خوفه من الله وحبه لدينـه وهـذا يزيد حرصه على طاعة الله تعالى والإقلاع عن المعصية.

ثم إن الإقلاع عن المعصية والإكثار من الطاعات تعـين الإنسان على قهر نفسه وعدم التردد في الخروج للجهاد ودفع المال في سبيل الله وكذا الشجاعة في المواجهة وحب الموت وعدم الجبن وبالتالي فالتقوى طريق إلى الجهاد.

ثم إن التقوى ذاتها تؤدي إلى الوعي والعلـم والمعرفـة، وليس أدل على ذلك من شكوى الإمام الشافعي لمعلمه سواء الحفظ ونصحه المعلم بترك المعاصي إذا أراد أن يتخلص من سوء الحفظ وهي حكاية مشـهورة عـن الإمـام الشـافعي. والجهاد طريق إلى النهضـة والحضـارة والتقـدم العلمـي والعملي، لأن الجهاد أولاً يحقق للإنسان التوازن النفسي، لأنه

يكون في حالة انسجام مع الله تعالى ومطيعا لفروضه وهـذا التوازن النفسي شرط ضروري من شروط النهضة، والجهاد ثانيا طريق لزيادة رقعة الإسلام الجغرافيـة والسـكانية أي زيادة المعطيات الحضارية كما وكيفًا وهذا طريق للنهضـة والحضارة أيضا، والجهاد كما قلنا طريـق للـوعي والعلـم والخبرة والمعرفة وهذا أيضا شرط من شـروط النهضـة، والجهاد هو أحد أشكال الطاعة والتقوى وهو يزيد من قـوة وكثافة التقوى التي تدفع الإنسان للعمل الجـاد علـى كـل مستوى وهو أيضا شرط من شروط النهضة.

إذن فالجهاد طريق إلى النهضة والحضارة، وإذا تتبعنـا المنحنى الحضاري الإسلامي في كـل مسـتوياته العلميـة والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وجدنا أن الأمـة كانـت دائما في حالة صعود حضاري طالما كانت في حالة غـزو وهجوم وأنها بدأت في طريق الانحطاط الحضـاري عنـدما تخت عن واجب الغزو والهجوم واكتفت بالدفاع ثم انهـارت حضاريا على كل مستوى عندما تخت عـن الـدفاع أيضـا وبالتالي فإنه لتحقيق النهضة فإن الجهاد شرط أساسـي مـن شروطها ومن الأمثلة الفريدة في هـذا المضـمار مـثلاً أن

المقاومة الشعبية الإسلامية في مصر عندما دخلت في جهاد مع الفرنسيين إبان الحملة الفرنسية على مصر ١٨٠١/١٧٩٨ استطاعت أن تصنع المدافع والبارود خلال ثورة القاهرة الثانية، أي أن الثورة فجرت ثورة صناعية وتقدما تكنولوجيا، وهذا دليل على أن الجهاد طريق إلى الثورة الصناعية وطريق إلى النهضة عموما.

والتخلي عن الجهاد هو طريق إلى الانحطاط والذل والتراجع الحضاري وهذا حالنا يثبت ذلك، فكلما تخلينا عن الجهاد وقعدنا عنه نتخلف حضاريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا بل ونصبح أذلاء مستضعفين تجاه الهيمنة الأوروبية والأمريكية – وخاضعين لنفوذهم السياسي والعسكري والاقتصادي فضلاً عن الثقافي.

وعلينا الآن أن نتأمل حديث رسول الله ﷺ الذي يقول:

(إذا تبايعتم بالنسيئة وأخذتهم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم) رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

وهذا الحديث واضح الدلالة في أن ترك الجهاد يورث الذل أي يورث الخضوع للآخرين، ويورث الانهيار

الحضاري في كل مستوياته، لان كلمة الـ ذل شـ املة تعنـ ي الانحطاط السياسي والاقتصادي والعسكري والحضاري، وأن الطريق إلى نزع هذا الذل أي لتحقيق النهضـ ة والاسـ تقلال والإبداع الحضاري هو القيام بواجب الجهاد.

إذن فالجهاد هو أحد أهم شروط النهضة، لأن الجهاد يرفع مستوى التقوى والوعي والمعرفة وبديهي أن المجاهد شخص إيجابي، والتقى شخص حريص على أداء عمله بإتقان وأمانة وكلها شروط لازمة للنهضة.

إذن فهناك علاقة جدلية بين الجهاد، والوعي، والتقـ وى، والنهضة، وكلها أمور شديدة الارتبـ اط ببعضـ ها الـ بعض، وخلاصة القول أن المسلم لا يكون في حالة إبداع حضـ اري إلا إذا كان قائما بواجب الجهاد، بل إن الأمة الإسـ لامية لـ م تتقدم حضاريا ولم تحقق حضارتها ونهضتها الشامخة إلا في عصور ازدهار الجهاد والغزو والقتال في سبيل الله والعكس صحيح تماما.

وعلينا أن نتأمل الآية القرآنية التي تقول: ﴿ **كُتِب علَـ يكُم الْقِتَالُ وهو كُره لكُم وعسى أَن تَكْرهوا شيئًا وهو خَير لكُـ م**

وعسى أن تُحِبوا شَيئًا وهو شَر لكُـم واللهُ يعلـم وأَنْـتُم لاَ تَعلَمون﴾........(سورة البقرة الآية ٢١٦)

وهذه الآية تقول إن الجهاد خير، ولا شك في ذلـك فهـو خير على المستوى الشخصي، لأن المجاهد يحقق رضـا الله تعالى ثم يحقق دخول الجنة ثم يحقق لنفسه التوازن النفسـي والإيجابية والتقوى والـوعي والغنـائم، وعلـى المسـتوى الجماعي فإن الجهاد يحقق العزة والنصر والتقدم الحضـاري والسيادة والنهضة.

الجهاد ماض إلى يوم القيامة

منذ أن ظهر الإسلام وحتى اليوم وإلى أن تقوم الساعة سيظل الجهاد ماضيا، مصداقًا لما جاء في الحديث (الجهاد ماض إلى يوم القيامة.)

ولعل هذه النبوءة النبوية تبطل دعوى هؤلاء الذين يريدون أن يحذفوا سلوك الجهاد بل وكلمة الجهاد من القاموس السياسي أو الشرعي لأمتنا، لأنه سواء حذفوها أو لم يحذفوها وسواء جاهدوا أو قعدوا فإن الجهاد سيمضي إلى يوم القيامة بهم أو بغيرهم.

وفي الحقيقة فإن الجهاد والقتال سمة لازمة، لازمت الأمة الإسلامية في حياة النبي ﷺ وفي حياة الخلفاء الراشدين ثم إبان الخلافة الأموية والعباسية ثم العثمانية وحتى بعد سقوط الخلافة الإسلامية استمر الجهاد على يد الزعماء المجاهدين الذين قادوا حركات التحرر الوطني الإسلامي ضد الاستعمار وسيظل الجهاد ماضيا إلى يوم القيام إن شاء الله لأن الأرض لم ولن تخلو من المسلمين المتمسكين بفروض الدين وكذلك لم ولن تخلو من أتباع الشيطان من الكفار والمشركين

وبالتالي سيظل الصراع بين الحق والباطل ما بقيت الـدنيا، وحتى لو أسلمت الكرة الأرضية كلها فإن علينا أن نجاهد ف يغيرها ولا نتوقف عن الجهاد أبدا لأن الجهاد سنة من سـنن الكون الثابتة التي تفسد الحياة بدونها ويهتز نظام الكـون إذا تعطلت. وإذا كانت المعارك والغزوات والسرايا فـي حيـاة الرسول ﷺ كثيرة ومتنوعة فإن تلك المعارك لـم تنتـه بـل استمرت بعده، فقد خاض المسـلمون فـي حيـاة الخلفـاء الراشدين المعارك ضد المرتدين ثم ضد الفرس والروم وتـم فتح العراق والشام ومصر وغيرها. وحتى بعد انتهاء الخلافة الراشدة استمر المسلمون يغزون في سبيل الله ويقاتلون لنشر دين الله في كل الأرض في إفريقيا والهنـد والصـين ومـع الدولة البيزنطية حتى وصل الإسلام إلى الأندلس غربا وإلى الصين والهند وإيـران وأفغانسـتان وإندونيسـيا وسـيبيريا وغيرها شمالاً وشرقًا ثم خاض المسـلمون المعـارك ضـد الحملات الصليبية والتترية في الشرق وضـد أوروبـا فـي الشمال والغرب، بل إن الحملات الصليبية علـى المغـرب العربي استمرت قبل فتح الأندلس وأثناء الحكـم الإسـلامي للأندلس وبعد انتهاء الحكم الإسلامي للأندلس حتى لقد سماها

المؤرخون حرب الألف عام، وحتى بعد سقوط الخلافة العباسية ظهرت الخلافة العثمانية التي خاضت المعارك من أجل نشر الإسلام في أوروبا فوصلت إلى أسوار فيينا وروما فضلاً عن فتح القسطنطينية، وبعد سقوط الخلافة العثمانية وقبل سقوطها بقليل أي في أيامها الأخيرة، تعرضت بلاد العالم الإسلامي للاحتلال على يد أوروبا الصليبية، ولكن المسلمين الذين فقدوا الخلافة وأصبحوا ممزقين لم يكفوا عن الجهاد وانخرطوا في عمليات المقاومة الإسلامية المسلحة ضد الاحتلال الأوروبي في كل مكان من العالم الإسلامي، ومازال المسلمون القابضون على دينهم يجاهدون حتى اليوم ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين وضد الهيمنة الأمريكية والأوروبية، وما زالت الأقليات الإسلامية في أكثر من مكان بالعالم تقاتل من أجل حقوقها المهضومة وسيظل الجهاد إن شاء الله ماضيا إلى يوم القيامة.

طريق التهلكة وطريق النجاة
الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

في محاولة قديمة جديدة، يحاول المشككون والـذين فـي قلوبهم مرض أن يثيروا عددا من الشـبهات حـول الجهـاد بهدف صرف المسلمين عنه أو تفسيره تفسيرا ناقصا يقلل من فاعليته.

وهناك العديد من الشبهات في هذا الإطار ولكنها شـبهات ضعيفة لا تصمد أمام الحجة القرآنيـة والنبويـة الواضـحة وإجماع العلماء فيقولون مثلاً إن الإسلام دين دفـاعي علـى عكس كل النصوص التي تؤكد أن الأصل في الجهـاد هـو الغزو وهو في هذه الحالة فرض كفاية وأن الاسـتثناء هـو الدفاع ويصبح الجهاد في هذه الحالة فرض عين للدفاع عـن أرض المسلمين وحماية مصالحهم الاستراتيجية.

وفي هذا الإطار ذات يقول بعض المشككين تفسيرا لقوله تعالى:

﴿ **ولاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلُكَةِ**﴾ إنهـا دعـوة للتعقـل والاعتدال والانضباط وغيرها وأن الجهاد يؤدي إلى إهمـال

الزراعة والصناعة وضياع المال وغيرها وفي الحقيقة فـإن هؤلاء إما أنهم لم يقرأوا الآية بكاملها وإما أنهم لـم يطلعـوا على تفسيرها الصحيح وإما أنهم مرضى بقلوبهم والعياذ بالله فالآية القرآنية تقول: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِـي سَـبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُـوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلُكَةِ**﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٥) وبالتالي فـلا علاقة لهذه الآية بمسألة التعقل أو غيرها، ومعناها الصـحيح أن الإنفاق في سبيل الله هو الطريق لتجنب التهلكة لأن هـذا الإنفاق يؤدي إلى توفير حاجـات المجاهـدين مـن المـؤن والمعدات وبالتالي يجعل المسلمين في حالة قوة تحـول دون هلاكهم على يد عدوهم، ولعل ما رواه الترمـذي فـي هـذا الصدد يؤكد هذا المعنى ويقطع دابر المشـككين وأصـحاب الشبهات.

(عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم فـأخرجوا إلينـا صفًا عظيما من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بـن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخـل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكـة فقام أبو أيوب الأنصاري فقال:

(أيها الناس أنتم تأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قـال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى أعز الإسلام، وكثر ناصروه فلو أقمنـا فـي أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ وكانـت التهلكة الإقامة على الأموال وتركنا الغزو.. فمـا زال أبـو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بـأرض الـروم) رواه الترمذي.

إذن فالتهلكة هي ترك الغزو.

وعلى أي حال فإن هناك الكثير من الآثار التـي تحبـب إنفاق الأموال في سبيل إعداد العدة للجهاد، بل وتجعل الجهاد بالمال كالجهاد بالنفس بل دائما ما تتقدم كلمة الجهاد بالمـال على الجهاد بالنفس في النصوص القرآنية مثل قوله تعالى:

﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُـوا مَعَـهُ جَاهَـدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ وَأُولَئِـكَ لَهُـمُ الْخَيْـرَاتُ وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾...(التوبة: ٨٨).

وفي الحديث الشريف (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

وكذلك قوله ﷺ (من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف) رواه الترمذي والنسائي.

ومن الشبهات التي يثيرها المشككون ومرضى القلوب في محاولة للتقليل من قيمة الجهاد وصرف المسلمين عنه استدلالهم بما يروي:

(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال جهاد القلب أو جهاد النفس) على أن هناك جهادا أكبر وهو جهاد النفس وأنه أفضل من الجهاد الأصغر وهو قتال الكفار والمشركين لإعلاء كلمة الله تعالى، ويرى الكثير من العلماء: أن هذه الرواية ليس بحديث على الصحيح، قال أمير المؤمنين في الحديث الحفاظ بن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عيلة، وقال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء) رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر.

وحتى لو صح هذا القول في أنه حديث عن رسول الله ﷺ فيجب أن يفهم في إطار باقي النصوص القرآنيـة والنبويـة وفي إطار الظروف التي قيل فيها. ونرى والله أعلم أنه لـو صح لكان معناه التعبئة المستمرة وإخضاع النفس للتـدريب والاستعداد واليقظة الدائمة وشحذها بالعمل الصالح حتـى إذا دعا داعي الجهاد لم تتأخر النفس عن التلبية والخروج للقتال في سبيل الله تعالى إذن لو صح هذا القول ولو صحت تلـك الرواية لكان معنى الجهـاد الأكبـر هـو التعبئـة النفسـية والمعنوية والإيمانية والجسدية وتكون هناك حالـة اسـتعداد دائم للخروج للقتال في سبيل الله وعدم التأخر لحظة واحـدة وعدم التردد في ذلك، وبديهي أن جهاد النفس يجعلها مستعدة للموت في سبيل الله، أما إذا ركن البعض للقعـود بـدعوى الاهتمام بجهاد نفسه فإنه يكون كاذبا لأنه لـو جاهـد نفسـه حقيقة لكانت سريعة الاستجابة للخروج للقتال في أية لحظـة وخلاصة القول أنه لو صحت تلك الرواية فان الجهاد الأكبر يعني التعبئة لأن التعبئة والاستعداد للقتال واستمرار اليقظـة أصعب طبعا من القتال ذاته.

ويجب أن نذكر هنا أن هناك أمورا تلحق بباب الجهاد منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقول الرسول ﷺ (إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) ولكننا نرى أنها من الملحقات وليس من أصل معنى الجهاد، لأن كل النصوص والآثار تدل على أن الجهاد هو قتال الكفار والمشركين، وأنه لا شيء يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يقتل ويقتل في سبيل الله.

أعداؤنا.. اليوم وغدا

الجهاد في أصله الشـرعي هـو قتـال وغـزو الكفـار والمشركين في كل زمان ومكان على الأرض، أو حتى فـي الكواكب الأخرى إن كان فيها حياة عاقلـة، وذلـك بهـدف القضاء على علاقات الاستكبار التي تحول بين الناس وبـين حرية الاختيار، فالجهاد في أصله هجوم وهو في هذه الحالة فرض كفاية إذا فالواجب الشرعي على المسلمين أن يقـاتلوا الملحدين، الوثنيين، والنصارى المحاربين، اليهود المحاربين والموالين لأحد هؤلاء أولهم جميعا.

وبالطبع إذا أمكن قتال هؤلاء جميعا والقيام بواجب الجهاد ضدهم فهذا أمر حسن أما إذا كانت ظـروف المسـلمين لا تسمح بذلك، مثل الحالة التي نحن فيها الآن، فإنه يجب قتـال الكفار والمشركين الذين يحتلون بلاد المسلمين مثلاً أو الذين يتدخلون في شئونهم.

وإذا نظرنا إلى أوضاع العالم حاليا، وجدنا أن هناك كفارا ومشركين وملحدين ووثنيين ونصـارى ويهـود وغيـرهم يحاربون الإسلام والمسلمين ويفسدون في الأرض، وهـؤلاء

جميعا يجب قتالهم ولكننا نجد في الوقـت نفسـه أن العـدو المباشر للمسلمين هم اليهود ومن يحميهم ويسـاعدهم علـى قتال المسلمين من النصارى فاليهود يحتلون بعض المسلمين، من البلاد المقدسة والمباركة وهي فلسطين، ويسعوا للمزيـد من احتلال الأراضي داخـل فلسـطين وخارجهـا أيضـا ويتآمرون على الشعوب الإسلامية بهدف اسـتمرار تخلفهـا وتفككها وخضوعها للأنظمة المستبدة، ولذا فإن أول الأعداء الذين ينبغي علينا جهادهم الآن هم اليهود، وجهاد اليهود اليوم وغدا واجب شرعي وفرض عين على كل مسلم ومسـلمة، لأنهم يحتلون بلاد المسلمين ولأنهم يتآمرون علـى الإسـلام والحضارة الإسلامية، وفي الحقيقة فإن اليهود هـم أعـدى أعداء المسلمين فالقرآن الكريم يقول: ﴿لتَجدن أشَـد النـاسِ عداوةً للذين آمنُوا اليهود والذين أشْركُوا﴾..(المائدة: ٨٢)

ولقد خاض الرسول ﷺ وصحابته رضـوان الله علـيهم جميعا المعارك الطاحنة ضد اليهود في بني قريظـة وبنـي النضير وبني قينقاع وخيبـر وغيرهـا حتـى اسـتطاع أن يستأصل شأفتهم ويبدد شملهم وظل اليهود فـي حالـة مـن الضعف والتشرذم منذ ذلك اليوم إلى أن ظهروا مرة أخـرى

في بداية هذا القرن ليصبحوا مرة أخرى كيانًا فاشيا يشـكل أكبر الخطر على المسلمين بل ويحتل أجزاء مـن بلادهـم ولذلك وجب قتالهم.

والقرآن الكريم قد تنبأ بهذا الأمر – وهو وقوع القتال بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة، حيث يقـول الله تبـارك وتعالى:

﴿ **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتـاب لتفسـدن فـي الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا .فإذا جاء وعـد أولاهمـا بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الـديار وكان وعدا مفعولاً .ثم رددنا لكم الكرة علـيهم وأمـددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيـرا.إن أحسـنتم أحسـنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخـرة ليسـوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا .عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**﴾.. (الإسراء: ٤-٨)

وفي الحديث الشريف: (لا تقـوم السـاعة حتـى يقاتـل المسلمون اليهود، فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبـد الله

هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه مـن شـجر اليهود).. رواه مسلم واحمد.

إذن فاليهود بنص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهـرة هم أعداء اليوم وغدا، وواجب علينا قتالهم والجهاد ضـدهم، وكل من يرى غير ذلك فإنما هو يخالف الآيـات القرآنيـة الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة يخالف الواقـع، لأن دعوة السلام المزعومة مع الكيان الصهيوني دعوة مشـبوهة فكيف يقوم سلام مع قوم احتلوا أرضنا وداسوا على مقدساتنا اللهم إلا إذا تخلينا عن ديننا ورفضنا تنفيذ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة والعياذ بالله.

وأعداؤنا المباشرون اليوم وغدا أيضا هم الغرب الصليبي الاستعماري وهم الأعداء الذين لم تنقطع المعارك معهم منـذ فجر الإسلام بدءا من سرية مؤتة وغزوة تبوك وبعث أسامة بن زيد في حياة النبي وقبل وفاته، ثم في اليرموك وغيرهـا في حياة الخلفاء الراشدين، ثم من أجل تحرير الشام وشـمال إفريقيا والأندلس في عهد الدولة الأموية ثـم اسـتمر هـذا الصراع في عهد الدولة العباسية في الأندلس والشام وشـمال إفريقيا وعلى مشارف أوربا، بدءا من ذلك وحتى الحمـلات

الصليبية على الشرق العربي كله ١٢٩٨/١٠٩٥ وإلى اليوم، وقبل ذلك وأثناء ذلك وبعد ذلك كان هناك صراع بين الأمـة الإسلامية وبين الغرب الصليبي في المغرب العربي وخاصة الجزائر لمدة ألف عام متصلة ولقد أطلـق عليهـا مؤرخـو المغرب العربي حرب الألف عام، وكذلك في ذلك الصـراع الطويل الذي خاضته الدولة العثمانية دفاعا عن بلاد الإسلام ونشرا للإسلام في أوربا حتى فتحـت القسـطنطينية ١٤٥٣ على يد محمد الفاتح وحتى وصلت جيوش المسـلمين مـن الأتراك إلى أسوار فيينا وروما.

وعقب سقوط الدول العثمانية وكذلك فـي أيـام ضـعفها استمر ذلك الصراع من خلال هجوم استعماري صليبي على معظم أقطار العالم الإسلامي حتى سقط في قبضة الاستعمار الأوربي الصليبي، وقام المجاهدون بدور مهم في الدفاع عن بلاد الإسلام، وإذكاء نار المقاومة المسلحة التي لـم تنقطـع ضد الاستعمار في كل مكان ونذكر من هؤلاء:

عبد القادر الجزائري، عبد الكريم الخطابي، الشيخ الثعلبي في تونس وغيرهم كثير في إندونيسيا والعراق والشام ومصر وإفريقيا بل وحتى في بلاد التركستان والقوقاز وغيرها.

ومع بداية القرن العشرين حدث تحالف بين اليهود وبين أوربا الصليبية أسفر عن دعم صليبي غربي كامل لقيام إسرائيل وتسليحها ودعمها بالمال والمهاجرين والتأييد الدولي ومازال هذا التحالف قائمًا حتى يومنا هذا.

وحتى بعد رحيل الاستعمار الصليبي القديم، ما زالت أوربا تمارس نفس الغزو لنا سواء بجيوشها المنتشرة في كثير من بقاع العالم الإسلامي تحت مسميات عديدة أو من خلال إرساليات التبشير أو من خلال فرض التخلف والتفرقة علينا وعدم السماح لنا بامتلاك أي عناصر للقوة ويقف على رأس الاستعمار الصليبي حاليا الولايات المتحدة الأمريكية.

إذن فيجب الجهاد ضد إسرائيل، وضد أمريكا وضد أوروبا وهذا فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

وفي هذا الإطار نجد أن أعداءنا من اليهود ومن الغرب الصليبي قد نجحوا في تجنيد العديد من المؤسسات والأحزاب والقادة للعمل معهم سواء بتنفيذ مخططاتهم أو قهر الشعوب والحيلولة دون القيام بواجب الجهاد أو بالترويج للقيم الحضارية الغربية ومن هؤلاء العلمانيين من يسار ويمين، اشتراكيين، وليبراليين وشيوعيين وكذلك الأنظمة المستبدة

التي تقهر الشعوب ولا تسمح لها باختيار طريقهـا المسـتقل عن الغرب الصليبي وكذلك هؤلاء الذين يدعون للاندماج في حضارة الغرب أو التصالح مع إسرائيل وغيرهم.

وينطبق على هؤلاء قول الله تبارك وتعـالى فـي كتابـه الكريم:

﴿**يا أَيها الذِين آمنُوا لاَ تَتخِذُوا الْيهود والنصارى أَولِياء بعضهم أَولِياء بعضٍ ومن يتَولهم منْكُم فَإِنه مِنْهم إِن اللهَ لاَ يهدِي الْقَوم الظالِمِين**﴾... (سورة المائدة الآية ٥٠)

وهذه الآية الكريمة تنطبق انطباقًا كاملاً على أحوالنا فـي هذا الزمان.. فهناك تحالف وموالاة بين اليهود والنصـارى، وهو تحالف لم يحدث إلا منذ فترة قليلة (حوالي القرن) لأنـه كان هناك عداء واضطهاد من النصارى لليهود طوال التاريخ ولم يحدث هذا التحالف إلا في العصر الحالي.

والآية أيضا تجعل هؤلاء الذين يوالون اليهود والنصارى من المسلمين منهم أي من اليهـود والنصـارى.. ﴿ **ومـن يتَولهم منْكُم فَإِنه مِنْهم**﴾.

والآية تفرض علـى المسـلمين عـدم مـوالاة اليهـود والنصارى، وهذا هو الطريق الطبيعي الذي يجـب اتباعـه

حاليا وفي مثل الأوضاع الدولية القائمة حاليا، فليس أمام المسلمين إلا جهاد وقتال اليهود والنصارى.

إذن فالأعداء الذين يجب أن يجاهدهم المسلمون حاليا هم اليهود والنصارى ومن والاهم.

جهاد المرأة المسلمة

للمرأة المسلمة دور هام في الكيان الإسلامي المجاهد، فهي الأم التي ترعى الأبناء وتربيهم على الإيمان وحب الاستشهاد والاستعداد الدائم للجهاد، ثم هي تدفعهم دفعا وتحرضهم تحريضا على الجهاد، وهي الزوجة الصالحة التي تخاف زوجها إذا ما خرج إلى الجهاد في أهله وبيته بالخير والمعروف، ثم هي التي تصبر وتحتسب عند فقد ابنها أو زوجها أو أبيها أو أخيها في إحدى المعارك، وهي أيضا تقوم بأمور التمريض والإمداد والتموين وغير ذلك للمجاهدين، ولكنها فوق هذا يمكن أن تجاهد بنفسها وبمالها بمعنى إنها يمكن أن تحمل السلاح في سبيل الله وتقاتل وتُقتل وهناك الكثير من النماذج والأمثلة على المرأة المسلمة التي خرجت بنفسها للقتال فحملت السلاح ودخلت في المعمعة.

ومن المعروف أن العلماء قرروا أن الأصل في الجهاد هو الغزو في سبيل الله والهجوم على بلاد الكفار وقتالهم ونشر كلمة الله ولجعل كلمة الله هي العليا، وهذا فرض كفاية يمكن أن يقوم به الرجال عن النساء ولكن في حالة الاستثناء،

وهي الحالة التي تكون فيها أراضي المسلمين محتلة بالكفار فإن الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة بل إن على المرأة المسلمة في هذه الحالة أن تخرج للجهاد بدون إذن زوجها، أي سواء أذن لها أم لم يأذن لأن الجهاد هنا فرض عين عليها.

والأمثلة من التاريخ القديم والحديث كثيرة في شأن المرأة التي تقاتل في سبيل الله وتحمل السلاح ذودا عن هذا الدين الحنيف في إطار فرض الكفاية وفرض العين معا، وفي كتاب إمتاع الأسماع للمقريزي قالت أم عمارة تحكي عن نفسها (وأقبل الرجل الذي ضرب ابني فقال رسول ﷺ: (هذا ضارب ابنك، قالت فاعترض له فاضرب ساقه فبرك، قالت فرأيت رسول ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه، وقال استقدت (ثأرت) يا أم عمارة، ثم أقبلنا نعله بالسلاح حتى أتينا على نفسه فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك).

وتروي أم عمارة أيضا (قد رأيتني وقد انكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلا في نفير لا يتمون عشرة وأنا وأبناء وزوجي بين يديه نذب عنه، والناس يمرون به

منهزمين، ورآني لا ترس معي، فرأى رجلاً موليا معه ترس فقال لصاحب الترس، الق ترسك إلى من يقاتل.. فألقى ترسه فأخذته فجعلت أتترس به عن رسول الله ﷺ فيقبل رجل على فرس فضربني وتترستُ له، فلم يصنع سـيفه شـيئًا ودلـى وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره، فجعل النبـي ﷺ يصيح يا ابن أم عمارة أمك.. قالت فعـاونني عليـه حتـى أوردته سقوبه (أي قتلتُه).

وفي رواية عن أم سعيد بن سعد بن الربيع تقول (ودخلت عليها – أي على أم عمارة – فقلت: حدثيني خبرك يوم أُحد، قالت: خرجت أول النهار إلى أُحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهـو فـي أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلمـا انهـزم المسـلمون انحزتُ إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتـال وأذب عـن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوس حتى خلصـت إلـى الجراح، قالت: فرأيت على عاقتها جرحـا غـورا أجـوف، فقلت: يا أم عمارة من أصابك هذا قالت أقبل علي ابن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله ﷺ وهو يصيح دلوني علـى محمد فلا نجوتُ إن نجا؛ فاعترض له مصعب بـن عميـر

وناس معه فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٤١٣/٨ كان ضمرة بن سعيد المزي يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت زحام تُسقى الماء قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول لمقام نسيبه بنت كعب اليوم، خير من مقام فلان وفلان وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا.

وفي الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢٥١/٢٥٠ أن أم الفضل ضربت أبا لهب بعامود من عمد المنزل في رأسه فأصابته، وذلك دفاعا عن أبي رافع عندما اعتدى عليه أبو لهب في منزل العباس عقب موقعة بدر، وقد مات أبو لهب متأثرا بهذا الجرح.

وفي السيرة النبوية لابن هشام أن صفية بنت عبد المطلب كانت في أحد الحصون في معركة الخندق، فمر بهم أحد اليهود وأخذ يطوف بالحصن فخافت صفية أن يدل اليهودي عليهم، فقامت إليه وقد حملت عامودا ونزلت من الحصن وضربته بالعامود حتى قتلته.

وفي الواقع فإن قيام المرأة المسلمة بالجهـاد فـي إطـار فرض الكفاية أو فرض العين لم يقتصر على صدر الإسـلام بل امتد ليشمل جميع العصور والأزمنة والأمكنـة، فـالمرأة الجزائرية شاركت بالسلاح في المقاومـة ضـد الاحـتلال الفرنسي مثل لالا فاطمة التي قادت إحدى ثـورات الشـعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، كما سجلت يوميات ثـورة التحرير الكبرى في الجزائر ١٩٥٤/١٩٦٢ ومشاركة الكثير من النساء في القتال بصورة مباشرة، والأمر ذاته حدث فـي المقاومة الفلسطينية والجهاد اللبناني.

مدد الله

في كثير من المعارك – التي خاضها المسلمون في عصر النبوة أو حتى بعد عصر النبوة وحتى اليوم - تكون القـوى غير متكافئة.. بمعنى أن الأعداء يكونون أقوياء عددا وعـدة بالقياس إلى عدد وعدة المؤمنين، ومع ذلك ينتصر المسلمون، وهذا بالطبع بفضل مدد الله تعالى الذي يرسله الله مباشرة أو بشكل غير مباشر إلى المؤمنين، فيكون الله تعالى الذي يرسله الله مباشرة أو بشكل غير مباشر إلى المؤمنين، فيكون النصر حليفهم، وهذه الحقيقة – أي وجود مدد الله المباشر أو غيـر المباشر- لها أهميتها القصوى فـي رفـع معنويـات جنـد المسلمين، وفي دفعهم أصلاً لخوض المعـارك مـع القـوى الكبرى مهما كانت الحسابات المادية لغير صالحهم، وهكـذا فإحساس المسلم بمدد الله أمر إيجابي على كل مستوى فهـو يدفعه إلى خوض المعارك مطمئنًا وهو يدفعه إلـى تحـدي القوى الجبارة مهما كانت درجة قوتها، وهذا في حـد ذاتـه كفيل بجعل المسلمين قوة ثورية كبرى قادرة علـى إحـداث التغيير دائما مهما كانت موازين القوى..

وبالطبع يدرك المسلمون أن مدد الله تعالى لا يـأتي إلـى الخاملين أو القاعدين أو الكسالى أو المتـراخين، وكـذلك لا يأتي للذين لا يأخذون بالأسباب، ويدرك المسلمون أن لمـدد الله شروطًا.. أولها الثقة بنصر الله والإيمان به، وثانيها بـذل كل الجهد من استعداد وتدريب وتسليح وتخطيط وغيره مـن الأسباب المادية..

ولأن القوى العلمانية تدرك أهمية الإيمان بمدد الله في دفع المسلم للشجاعة والثورة والمواجهة لأنه يستند إلـى أقـوى الأقوياء.. الجبار فوق كل جبار.. وبالتالي فلا خـوف مـن مواجهة أية قوة طاغية أو جبارة، ومهما كان ميزان القـوى لغير صالح المسلمين. وبالتالي فإن مدد الله تعالى عامل مهم من عوامل قلقلة القوى الباغية وعدم استقراره، فإن الجهـاز الإعلامي والفكري للقوى العلمانية يحـاول دائمـا أن يثيـر الغبار ويشكك في هذه الحقيقة – حقيقة وجـود مـدد الله - فراح البعض يتهكم على هذه الحقيقة بـدعوى أنهـا دعـوة للتراخي وراح البعض الآخر يقول إنها مسـألة رمزيـة!!..

وراح البعض الثالث يصف الحديث عـن مـدد الله تعـالى بمجافاة روح العلم..•

ولا شك أن هذه المحاولة العلمانية محاولة مردودة، فمدد الله تعالى دعوة للثقة بالنفس.. أليس المسلم يستند إلى أقـوى الأقوياء، وهو دعوة للأخذ بالأسباب والحسابات من كل نوع، وهو دعوة للمواجهة والثورة مهما كان ميزان القوى ومهمـا كان نوع القوة التي سنواجهها، وهو دعوة للحركـة ولـيس القعود، بذل الجهد وليس الكسل، وهو أولاً وأخيرا أمر معلوم من الإسلام بالضرورة استنادا إلى نصوص القرآن الكـريم والسنة النبوية المطهرة..

يقول الله تعالى في سورة الأنفال:

﴿ إِذْ تَستَغِيثُون ربكُم فَاستَجاب لَكُم أَني مِمدكُم بِأَلْفٍ مـن الْملائِكَةِ مردِفِين ۞ وما جعلَه اللهُ إِلا بشْرى ولِتَطْمـئِن بِـهِ قُلُوبكُم وما النصر إِلا مِن عِنْدِ اللهِ إِن اللهَ عزِيز حكِـيم ۞ إِذْ يغَشيكُم النعاس أَمنَةً منْه وينَزلُ علَيكُم مـن السـماءِ مـاء

• فعل ذلك كل من الدكتور فؤاد زكريا، فرج فودة، بخصوص الحديث عن الكرامات في حرب ١٩٧٣، واعتبـروا أن ذلـك خرافـة وأمـر يتناقض مع العلم ودعوة للكسل والتراخي.

ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ۞ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾

(الأنفال –الآيات ٩-١٢)

ويقول: ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنًا إن الله سميع عليم**﴾. (الأنفال ١٧)

وفي سورة آل عمران:

﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ۞ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ۞ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ۞ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم**﴾ (آل عمران –الآيات ١٢٣-١٢٦)

وإذا تأملنا سورة الأحزاب أن الآيات التي سجلت واقعة الأحزاب قد حددت معالم المدد من جميع نواحيه فهو مدد من

الريح أو جنود لا نراها، ولكن هذا بعد أن يخف المسلمون إلى القتال، وبعد أن يأخذوا بالأسباب مثل حفر الخندق، ومثل استمرار ثقتهم وإيمانهم بالله رغم جحافل المشركين التي لم يكن للمسلمين قبل بها بحساب العوامل المادية وحدها، وترصد الآيات هؤلاء الذين ظنوا بالله الظنون أو هؤلاء الذين خذلوا المؤمنين عن القتال بدعوى عدم تكافؤ القوى..

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ۞ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ۞ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ۞ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ۞ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ۞ ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا ۞ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا ۞ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو

الْقَتْلِ وَإِذًا لاَ تُمتعون إِلا قَلِيلاً ۞ قُلْ من ذَا الذِي يعصمكُم من اللهِ إِن أَراد بِكُم سوءً أَو أَراد بِكُم رحمةً ولاَ يجِدون لَهم من دون اللهِ وليا ولاَ نَصِيرا ۞ قَد يعلَم اللهُ الْمعوقِين مِنكُم والْقَائِلِين لِإِخْوانِهِم هلُم إِلَينا ولاَ يأْتُون الْبأْس إِلا قَلِيلاً ۞ أَشِحةً علَيكُم فَإِذَا جاء الْخَوفُ رأَيتَهم ينظُرون إِلَيك تَدور أَعينُهم كَالذِي يغْشَى علَيهِ مِن الْموتِ فَإِذَا ذَهب الْخَوفُ سلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحةً علَى الْخَيرِ أُولَئِك لَم يؤْمِنُوا فَأَحبطَ اللهُ أَعمالَهم وكَان ذَلِك علَى اللهِ يسِيرا ۞ يحسبون الأحزاب لَم يذْهبوا وإِن يأْتِ الأَحزاب يودوا لَو أَنهم بادون فِي الأعرابِ يسأَلُون عن أَنبائِكُم ولَو كَانُوا فِيكُم ما قَاتَلُوا إِلا قَلِيلاً ۞ لَقَد كَان لَكُم فِي رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسنَةٌ لمن كَان يرجو اللهَ والْيوم الآخِر وذَكَر اللهَ كَثِيرا ۞ ولَما رأَى الْمؤْمِنُون الأحزاب قَالُوا هذَا ما وعدنَا اللهُ ورسولُه وصدقَ اللهُ ورسولُه وما زادهم إِلا إِيمانًا وتَسلِيما ۞ مِن الْمؤْمِنِين رِجالٌ صدقُوا ما عاهدوا اللهَ علَيهِ فَمِنْهم من قَضى نَحبه ومِنْهم من ينتَظِر وما بدلُوا تَبدِيلاً ۞ لِيجزِي اللهُ الصادِقِين بِصِدقِهِم ويعذب الْمنَافِقِين إِن شَاء أَو يتُوب علَيهِم إِن اللهَ كَان غَفُورا رحِيما ۞ ورد اللهُ الذِين كَفَروا بِغَيظِهِم لَم ينَالُوا

خَيرا وكَفَى اللهُ المؤْمِنين الْقِتَالَ وكَان اللهُ قَويا عزِيزا﴾ ....
(الأحزاب الآيات: ٩-٢٥)

وإذا تأملنا هذه الآيات الكريمة نجد:

- أن مدد الله تعالى حقيقـة إسـلامية لا ينكرهـا إلا جاحد:
- أن هذا المدد يأتي مباشرة من الله، أو عن طريـق جنوده التي نعلمها أو التي لا نعلمها مثل الملائكة – الريح، الرعب في قلوب الأعداء وغيرها.
- أنه لولا الإيمان المطلق بمدد الله تعالى لما خـرج المسلمون للقتال وخاصة في غزوة خَيبر حيـث إن القوى كانت غير متكافئة بالمرة، ولعل هؤلاء الذين رأوا عدم تكافؤ القوى وغابت عنهم الثقة المطلقـة في مد الله قد عبروا عن ذلك بالقعود أو الاعتذار أو غير ذلك، وهكذا فإن الإيمان بمدد الله حافظ قـوي للأخذ بالأسباب، والاستعداد للقتال، وحمل السـلاح رغم عدم تكافؤ القوى، وبالتالي فهو عامل مهم من عوامل النهوض وليس العكس.

- أنه من نافلة القول أن الإيمان بمـدد الله تعـالى لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب، بل الأخذ بالأسـباب شرط لوصول المدد – حفر الخندق مثلاً في غزوة الأحزاب.

- وإذا كانت الآيات القرآنية قد تحدثت عـن حـالات وقعت في عصر النبوة فإنها جاءت بصيغة المطلق لتؤكد أنها حالات مسـتمرة يمكـن أن تتكـرر إذا تحققت شروطها بمعنى أنه إذا كـان هنـاك قـوم يؤمنون بمدد الله ويثقون في ذلك ثقة مطلقة، وقـد أخذوا بكل ما أمكن من الأسباب الماديـة فـإن الله سوف يمدهم بمدد من عنده كفيل بتحقيـق النصـر مهما كانت قوة الأعداء.

ولنتأمل آيات أخرى تخص حالتنا المعاصـرة يقـول الله تعالى:

- ﴿**يا أَيها الذِين آمنُوا لاَ تَتخِذُوا الْيهود والنصارى أَولِيـاء بعضهم أَولِياء بعضٍ ومن يتَولهم منْكُم فَإِنه مِـنْهم إِن اللهَ لاَ يهدِي الْقَوم الظالِمِين ۞ فَتَرى الذِين فِي قُلُوبِهم مرض يسارِعون فِيهم يقُولُون نَخْشَى أَن تُصِيبنَا دائِرةٌ فَعسى اللهُ**

أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ ... (المائدة الآيات ٥١-٥٢).

- وهذه الآيات تتحدث عن موالاة بين اليهود والنصارى وهو الأمر الذي لم يحدث في التاريخ كله الممتلئ بالعداء بـين اليهود والنصارى إلا في النصف الثاني من القرن العشرين – حيث تم تفسير الإنجيل تفسيرا معينًا لصالح دعم إسرائيل "البروتستانت"، وتم تبرئة اليهود من دم المسـيح وزيـارة باباوات الكاثوليك لإسرائيل.. "الكاثوليك".. وهكـذا فهـذه الآيات تتحدث عن واقعنا المعاصر، ولعل ما يؤكد ذلك أن بعض المسلمين اتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بـدعوى أن اختلال ميزان القوى بيننا وبينهم لا يسمح إلا بهذا، أي أنهم يقولون لا نقدر عليهم، نخشى أن يدمرونا بأسـلحتهم **﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾**..
- وبالطبع فإن المؤمنين بالله الواثقين من مدده لا يستطيعون الآن أن يزعموا أنهم قادرون على هزيمة الغرب وإسرائيل عسكريا، نظرا لاختلال مروع في ميـزان القـوى، والله تعالى يطمئن هؤلاء بقوله: **﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾** أي عسى الله تعـالى أن يتـدخل بإرادتـه

المباشرة أو غير المباشرة فيقضي على قـوة الأعـداء أو بنصر المؤمنين رغم اختلال ميزان القوى، وقتها يصـبح دعاة التغريب نادمين على ما أسروا في أنفسهم من عمالـة للغرب، أو التبشير بالخضوع له بدعوى عدم تكافؤ القوى.

والحديث عن مدد الله تعالى كما جاء في السـنة النبويـة المطهرة حديث طويل، وسوف نختار بعض الأمثلة الواضحة على ذلك، ففي معركة بدر مثلاً.. وفي رواية ابن اسحق قال رسول ﷺ: [أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله.. هـذا جبريـل آخذ بزمام فرسه يقود على ثناياه الفتح..] الرحيق المختـوم للمباركفوري ص ٢٤١..

وفي رواية ابن سعد عن عكرمة قال: كان يومئـذ ينـدر رأس الرجل لا يدري من ضربها، وقال ابن عبـاس: بينمـا رجل من المسلمين يشتد في طلب رجل من المشركين أمامه إذ يسمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقـول أقـدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فجاء الأنصـاري فحـدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: [صدقت.. ذلك مدد مـن السـماء الثالثة]. قال أبو داود المازني إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفـت أنـه

قتله غيري، وجاء رجل من الأنصـار بالعبـاس بـن عبـد المطلب أسيرا.. فقال العباس:

إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أصبح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ومـا أراه فـي القـوم، فقـال الأنصاري أنا أسرته يا رسول الله.. فقال: [اسكت فقد أيـدك الله بملك كريم] المباركفوري ص ٢٤٣..

"فبينما هو جالس – أي أبو لهب - إذا قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب: هلم إلى فعندك لعمري الخير، قال فجلس إليه والناس قيام عليـه، فقال: يا ابن أخي اخبرني كيف كان أمر الناس؟.. قال: مـا هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيـف شـاءوا ويأسروننا كيف شاءوا.. وأيم الله مع ذلك ما لمت القوم، لقينَا رجالٌ بيض على خيل بلق من السـماء والأرض، والله مـا تليق شيئًا ولا يقوم لها شيء" المبـاركفوري فـي الرحيـق المختوم ص ٢٥١..

"وانقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن فأعطاه النبي جذلاً (عودا) من حطب، فقال: دونك هذا.. فلما أخذه عكاشة وهزه عاد في يده سيفًا طويلاً فلم يزل عنده يقاتل به حتى قُتل أيام

أبي بكر.." مختصر السيرة لابن محمد بن عبد الوهـاب ص ١٨٧..

أما في معركة أُحد.. قال أبو طلحة "كنت فـيمن تغشـاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يـدي مـرارا، يسـقط وآخذه، ويسقط وآخذه" الرحيق المختوم ص ٣٠٧..

وكان هذا النعاس أمنة من الله. يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **ثُم أَنْزلَ عليكُم من بعدِ الْغَم أَمنَةً نعاسا يغْشَى طَائِفَةً منْكُم**﴾... (آل عمران -١٥٤)

وروى الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حمـاد بـن مسلم عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال: "رفعت رأسـي وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحـد إلا يميـل جحفـة مـن النعاس"..

"وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته.. فجاء رسول الله ﷺ فأخذها وردها فعادت كمـا كانـت ولـم تضرب عليه بعدها، وكان يقول بعد ما أسن هي أقوى عيني وكانت أحسنهما" (إمتاع الأسماع ٣٣/١)

وفي الصحيحين عن سعد قال: "رأيت رسول الله ﷺ يـوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بـيض كأشـد

القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد، وفي رواية يعني جبريل وميكائيل" صحيح البخاري ٥٨٠/٢

"وقال نافع بن جبير: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول شهدت أُحدا فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها.. كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحد، ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال: والله ما رأيته احلف بالله أنه منا ممنوع فخرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك.." زاد المعاد ٩٧/٢

وفي غزوة الخندق:

"إنا يوم خندق نحفر فعرضت علينا كدية شديدة.. فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر – ولبثنا ثلاثة لا نذوق ذواقًا – فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم (أي صار رملاً لا يتماسك) ".. زاد المعاد والبخاري ٥٨٨/٢

وقال البراء: "لما كنا يوم الخندق عرضت لنا في بعـض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول، فقال: بسم الله ثـم ضـربه ضـربة وقال.. الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظـر إلـى قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية، فقطع آخر فقـال الله أكبر أعطيت فارس والله إني لأبصـر قصـر المـدائن الأبيض الآن ثم ضرب الثالث فقال.. بسم الله فقطـع بقيـة الحجر فقال.. الله أكبر أعطيت مفـاتيح الـيمن، والله إنـي لأبصر أبواب صنعاء مكاني" سنن النسائي وأحمد في مسنده

"رأى جابر بن عبد الله رسول الله ﷺ يحفر ورآه خميصا فأتى امرأته فأخبرها ما رأى مـن خمـص رسـول الله ﷺ فقالت.. والله ما عندنا شيء إلا هذه الشاه ومد من شعير، قال فاطحني وأصلحي.. فطبخوا بعضها وشووا بعضها وخبزوا الشعير ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد صـنعت لك طعاما فأت أنت ومن أحببت من أصحابك.. فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه بين أصابع جابر ثم قال أجيبوا جـابر يدعوكم فأقبلوا معه، فأقبلوا معه، فقال جابر في نفسـه: والله إنها الفضيحة!!.. وأتى المرأة فأخبرها فقالت: أنت دعوتهم أم

هو؟.. فقال: بل هو دعاهم!!.. قالت: دعم فهو أعلم، وأقبل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه وكانوا فرقًا عشرة عشرة، ثم قال لجابر: اغرفوا وغطوا البرمة وأخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه ففعلوا وجعلوا يغرفون ويغطون البرمة ثم يفتحونها فما يرونها نقصت شيئًا ويخرجون الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه ينقص شيئًا، فأكلوا حتى شبعوا وأكل جابر وأهله" صحيح البخاري ٥٨٨/٢، ٥٨٩

"وجاءت أخت النعمان بن بشير بحفنة من تمر إلى الخندق ليتغدى أبوه وخاله، فمرت برسول الله فطلب منها التمر وبدره فوق ثوب، ثم دعا أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه، وجعل التمر يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وأنه يسقط من أطراف الثوب" السيرة لأبن هشام ٣/ ٢٢٨-٢٢٩

قال ابن اسحق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظِي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان.. يا أبا عبد الله، أرأيتهم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟.. قال: نعم.. قال فكيف كنتم تصنعون؟.. قال: والله لقد كنا نجاهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا، قال فقال حذيفة: يا ابن أخي.. والله لقد رأيتنا مع

رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويا من الليـل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظرنا ما فعل القوم ثـم يرجع – يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة – أسأل الله تعـالى أن يكون رفيقي في الجنة؟.. فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحـد، دعـاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة اذهب فادخل في القوم، فانظر مـاذا يصـنعون، ولا تُحدثن شيئًا حتى تأتينا، قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قـدرا ولا نـارا ولا بناء.. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ مـن جليسه؟.. قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جانبي فقلت: من أنت قال فلان بن فلان. ثم قال أبـو سـفيان: يـا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقـام.. لقـد هلـك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكـره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قِدر، ولا تقـوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قـام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به علـى ثلاث، فو الله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول

الله ﷺ إلى أن لا تحدث شيئًا حتى تأتيني" ثم شـئت لقتلتـه بسهم، قال حذيفة: فرجعت إلى رسـول الله ﷺ وهـو قـائم يصلي في مرطٍ لبعض نسائه، مراجل. فلما رآني أدخلني إلى رجليه وخرج على طرف المرط ثم رجع وسجد وإني لفيـه، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بمـا فعلـت قـريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم، ولما أصـبح رسـول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعنا السلاح " السيرة لابن هشام.

ولا شك أن تجربة حزب الله في لبنـان تمثـل نموذجـا معاصرا لمدد الله تعالى الذي يؤيد به الله جنوده المخلصـين، فحزب الله يمتلك الإيمان وحشد كل إمكانياته وقدراتـه فـي المعركة، وهكذا استحق المدد وقد تمثل ذلك المـدد فـي أن حزب الله وهو حزب صغير استطاع ينتصر على أقوى قوة إقليمية "إسرائيل" مدعومة بـأقوى قـوة عالميـة "أمريكـا" واستطاع أن يحقق إنجازات عسكرية عالمية المسـتوى بـل واستخباراتية أيضا في مواجهـة أحـدث وأقـوى أجهـزة الاستخبارات كما ونوعا، وإذا حاولنا تفسير ذلك بمعزل عن مفهوم المدد الرباني لاستحال ذلك تقريبا. وعلى سبيل المثال

لا الحصر، فإن حادث "أنصارية" التي استطاع فيها مقـاتلو حزب الله أن ينتظروا في المكان الصحيح إنـزالاً إسـرائيليا لأقوى كتيبة إسرائيلية من قوات المظليين وأن يقتلوا ويأسروا أعضاء الكتيبة بالكامل.. وهو أمر لا يمكن فهمه إلا في إطار أن حزب الله يخترق غرفة العمليات الإسرائيلية – وهذا غير معقول- أو أن مدد الله كان حاضرا!!

وكذلك عمليات قتل كبار الجنرالات في الجنوب وفي كل مرة يجن جنون الإسرائيليين، فكيف عرف رجال حـزب الله خط سير هؤلاء الجنرالات ومنهم نائـب القائـد العسـكري الإسرائيلي في الجنوب، وثالثًا نجاح حـزب الله فـي أسـر الجنود الإسرائيليين الثلاثة وبعدهم العقيد الإسـرائيلي فـي المخابرات الإسرائيلية "الموساد" في عمليات هادئة ومعقـدة، بل لم تعرف بها إسرائيل إلا بعد أن أعلن عنها حـزب الله، إنه مدد الله، إنه مدد الله. سبحان الله.

المقاومة الإسلامية في لبنان الأيديولوجية والجذور

"كما يتوجه المسلم إلى القبلة الشريفة فالرصاص يجب أن يتوجـه إلى صدور العدو فقط"

من كلمات السيد: عباس الموسوي – بعلبك-٤ رمضان ١٤٠٥ هـ

لماذا انتصرت المقاومة الإسلامية في لبنان دائما؟.. لماذا لم تنجح إسرائيل أبدا في القضاء على تلك المقاومـة بـرغم امتلاك إسرائيل لأحدث أنواع السلاح وأشده فتكًـا، وبـرغم الدعم الاستخباراتي والمعلوماتي والاسـتراتيجي الأمريكـي والغربي لها؟.. لماذا تستعصي تلك المقاومة – وكل من يتخذ أسلوبها وبرنامجها – علـى الـذبح علـى أيـدي القـوى الاستكبارية؟.. ما هي المناعة الذاتية والقدرة المدهشة التـي تمتلكها تلك المقاومة والتي أعطتها هذا القدر من الصمود؟.. لماذا حظيت المقاومة الإسلامية في لبنان بهذا القدر الهائـل من التضامن الشعبي العربـي والإسـلامي بـل مـن كـل المستضعفين في العالم؟.. وهل يمكن اعتبـار كفـاح هـذه

المقاومة بالإضافة إلى كفاح الجهاد الإسلامي الفلسطيني نواة لحركة تحرر عـالمي ضـد الاسـتكبار لانتـزاع حقـوق المستضعفين في العالم كله؟.. وهل يتحول الطرح السياسـي والحضاري لتلك المقاومة إلى أيديولوجيـة للمحررين في كل مكان في العالم في مواجهة النمط الحضاري والقيمي الغربي الذي يهدد العالم بأسره، فضلاً عما أحدثه بالفعل مـن ظلـم وقهر وعنف وحرمان؟.. لماذا نجحت المقاومة اللبنانية فـي أن تصبح طليعة لكل قوى التحرر العربي علـى اخـتلاف مشاربها الدينية والطائفية والسياسية والطبقيـة؟.. وبصـيغة أخرى لماذا نجحت المقاومة اللبنانية في الخروج من مـأزق الطائفية الضيق إلى رمز للتحرر لكل إنسان مسلما كـان أو مسيحيا، عربيا أو عالميا، أبيض أو أسود أو أصفر؟.. وهل تشكل المقاومة – بأسلوبها وبرنامجهـا- بـديلاً أيـديولوجيا عالميا جديدا للتحرر من الهيمنة الغربيـة؟.. لمـاذا كانـت المقاومة – وحزب الله بالتحديد- هي الجزء الحي في النسيج العربي الذي اهترأ الكثير مـن أجزائـه وأطـره الفكريـة والتنظيمية؟..

ما المقاومة؟.. وماذا تمثل؟.. وإلى أي آفاق تتطلع؟.. هذه وغيرها أسئلة طرحت نفسها على الواقع الفكري والسياسـي العربي والعالمي.

ولكي نجيب عن هذه الأسئلة أو بالأحرى نقترب منها فإن علينا أن نحدد الكثير من المعالم العامة والخاصـة المتصـلة بأحوال العالم مـن حولنـا، والمتصـلة بـأحوال الصـراع الإسلامي الصهيوني باعتباره أخطر أشكال المواجهـة بـين قوى الخير والشر، وأخطر أشكال التحديات التـي واجهتهـا الحضارة الإسلامية.

طبيعة الصراع:

شاء الله تعالى أن يغطي الصراع بين الحضارة الإسلامية بما تمثله من حق وحرية وعدل ولا عنصرية، والحضـارة الغربية، بما تمثله من قهر وعنف وظلم وعنصرية مسـاحة واسعة من التاريخ والجغرافيا، ومنذ حياة الرسول ﷺ وحتى الآن ما زال هذا الصراع محتدما، وقدر هذا الصراع بحالات متنوعة من الكر والفر، المد والجزر حتى وصلنا إلى الحالة الراهنة من الصراع التي تتميز بمجموعة مـن المعطيـات المختلفة عن سابقتها والتي تحتاج بالتالي إلـى نـوع مـن

الاستجابة متميز وفعال، والحالة الراهنة من الصراع يمكـن أن نطلق عليها الحرب الصليبية الثالثـة، علـى أسـاس أن الحرب الصليبية الأولى بـدأت ١٠٩٨م وانتهـت ١٢٩٦م، والثانية بدأت ١٧٩٨م على يد بونابرت ثم حـدث احـتلال لمعظم الدول الإسلامية واحدة بعد الأخرى، ثم الثالثة التـي نحن بصددها الآن بدأت بحرب الخلـيج ودخـول القـوات الأجنبية إلى المنطقة وانهيار الشيوعية والتفـرغ الأوروبـي والأمريكي بالتالي للمسلمين على أساس أنهم العدو الأساسي، إلا أن هناك حالة – هي الأهم - بدأت فـي نهايـة الحملـة الثانية، وتصاعدت في الحملة الثالثة، وهي قيـام إسـرائيل ١٩٤٨م والاستعداد لتوسيعها لتحقيق إمبراطورية اليهود من النيل إلى الفرات، التي بدأت ملامحها في عام ١٩٦٧م ومـا بعدها، وهذه الحالة هي أهم وأخطر مواقع الصراع، ذلك أن الصراع الطويل بين الإسـلام وأوربـا يتجسـد الآن فـي إسرائيل، وعلينا أن نلاحظ أن هناك تحالفًا استراتيجيا وليس تكتيكيا فقط، بين الحضارة الأوروبية واليهود بدأ منذ القـرن الماضي فقط، وتمخض عن قيام إسرائيل وحصـولها علـى الدعم الغربي الكامل، أوربا ثم أمريكا، وإذا كان اليهود قـد

تعرضوا للاضطهاد طويلاً في أوربا فـإن أوربـا أرادت أن تتخلص منهم كحثالة بشرية غير مرغوب فيها فـي أوربـا، والكيد بهم للإسلام والمسلمين في نفس الوقت، واستغل اليهود هذا الأمر وتحر فيهم حقدهم القديم على الإسـلام، ونفـذوا المهمة بحماس، رغم أنهم يعرفون مدى الاضـطهاد الـذي تعرضوا إليه في أوربا والتسامح الذي عاشـوه فـي ظـل حضارة الإسلام، وعلى كل حال فإن النبـوءة القرآنيـة قـد تحققت، ونقصد بها الصمود الإسرائيلي والتحالف بين أوربا واليهود الذي لم يحدث طـوال التـاريخ إلا فـي المرحلـة الراهنة.. فالآية القرآنية تقول: ﴿**يا أَيهـا الـذِين آمنُـوا لاَ تَتخِذُوا الْيهود والنصارى أَولِياء بعضهم أَولِياء بعضٍ ومـن يتَولهم منْكُم فَإِنه مِنْهم إِن اللَّه لاَ يهدِي الْقَوم الظـالِمِين**﴾... (المائدة ٥١)

وكان المفسرون يحتارون في تفسير هذه الآية ويلجـأون إلى تفسيرها تفسيرا إجماليا في إطار أن الكفر ملـة واحـدة دون ذكر تفاصيل محددة لهذه المـوالاة، لاحـظ أن الـولاء والموالاة أكبر من التحـالف – ولاحـظ أيضـا أن اليهـود تعرضوا للاضطهاد الأوربي حتى الأربعينات من هذا القرن،

وأنهم بالغوا في ذلك طبعا لابتزاز ألمانيا وأوربا، أمـا الآن فقد تحققت النبوءة القرآنية بالكامل، فالموالاة التي هي أشمل من التحالف بين الغرب وإسرائيل واضحة جدا، سـواء فـي ازدواج المعايير الغربية فيما يخص إسرائيل، أو في الـدعم الهائل الذي تلقته إسرائيل من الغرب لدى قيامها وحتى الآن، وانتهاء بما يسمى بالأصولية الإنجيلية التـي تجعـل دعـم إسرائيل الكبرى واجبا مسيحيا، على أساس أن ذلـك شـرط لظهور المسيح – حسب معتقداتهم الباطلة - ووقع معركـة هِرمجدون كما يرى دعاة هذا التفسـير المزيـف للإنجيـل المحرف، وكذلك وصل الأمر إلـى حـد تبرئـة الكنيسـة الكاثوليكية لليهود من دم المسيح وحتى بابا الفاتيكان يعلن أنه لا يمانع من الاعتراف بالقدس عاصمة موحـدة لإسـرائيل بشرط حرية العبادة بالأماكن المقدسة، وحتى أسـبانيا التـي طردت اليهود مع المسلمين منذ ٥٠٠ عام اعتذرت رسـميا عن ذلك لليهود فقط، دون أن تعتذر للمسلمين بالطبع..

حزب الله حلقة من حلقات

الكفاح الشعبي الإسلامي

إذن فنحن أمام تحدٍ غربي يستهدف القضـاء علـى أمـة الإسلام دينًا ومنارة وطليعة لتحرير العالم، ويستخدم الغـرب إسرائيل لتحقيق هذا الهدف، فإسرائيل ليست دولة بـالمعنى المتعارف عليه للدول، ولكنها مجرد جماعة بشرية عدوانيـة تقوم بمهمة العدوان مقابل أجر، وتحقق للغرب أهدافه بـثمن بخس، وتحقق أهدافها هي في نفس الوقت، وعلينا أن نـدرك في هذا الإطار أن الغرب متفوق علينا عسكريا واقتصـاديا وبالتالي إسرائيل التي تمتلك الدعم والسلاح الغربي، متفوقـة علينا عسكريا في إطار الجيوش والآلات، وبالتالي لا يمكـن مواجهتها بالحرب النظامية ولا بالأسلحة التي نستوردها من الغرب نفسه!!.. وليس هناك من سبيل لمواجهـة إسـرائيل إلا بالحرب الشعبية الاستشهادية فـي إطـار الأيديولوجيـة الإسلامية، وذلك بالطبع يرجع إلى طبيعة الصراع، وطبيعـة المعسكر المعادي، وطبيعة قوانا الذاتيـة، فـنحن لا نملـك إلا سلاح الجماهير المجاهدة، وهذه الجماهير لا تجاهـد إلا

من خلال تحريك وجدانها، وهذا الوجدان إسلامي حتى النخاع، وبالتالي فلا يمكن تحريك هذه الجماهير إلا من خلال التعبئة الإسلامية.. لنتأمل معا الآيات القرآنية في سورة المائدة من ٥١ إلى ٥٣: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ۞ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**﴾..

الآيات تتحدث عن الحالة التي نحن بصددها، وهي الموالاة والتحالف الاستراتيجي بين الغرب الصليبي وإسرائيل اليهودية، وتحدد لنا الطريق الصحيح، بل تشرح أن هناك منهجين وأسلوبين سيظهران إزاء هذه الظاهرة، المنهج الأول هو منهج الاستسلام والسلام مع إسرائيل وعدم مواجهة الغرب، بحجة الخوف من بطشهم، ولسان حال أصحاب هذا المنهج الاستسلامي يقول: لا نقدر على إسرائيل، لا نقدر على الغرب، سيدمروننا بأسلحتهم، والمنهج الثاني هو منهج الثقة بنصر الله تعالى، فالله تعالى يقول لأصحاب هذا المنهج

عليكم أن تثقوا في الله تعالى مالك الكون كله. فهو قادر رغم عدم التكافؤ في السلاح والإمكانيات على أن ينصرنا بإرادته المباشرة أو غير المباشرة على هـؤلاء الأعـداء.. وهكـذا فالوقوف الصحيح والمنهج الصحيح هو المواجهة، ومقاتلـة إسرائيل والتأكيد على الذات والهويـة الحضـارية لأمتنـا، ورفض الاندماج أو الخضوع للغرب، وحشـد كـل الأمـة لمواجهة الاستعمار والصهيونية وتحقيق الوحدة وإعلاء قـيم الجهاد..

وفي الحقيقة فـإن مـنهج المواجهـة والقتـال والجهـاد والمقاومة استنادا إلى الجمـاهير، وعـن طريـق التعبئـة الإسلامية كان ولا يزال منهجا كبيرا فـي ضـمير الأمـة وتاريخها المعاصر وحالتها الراهنة، وهنـاك العديـد مـن الرموز في هذا الصدد، عبد القادر الجزائري وعبد الكـريم الخطابي، وعمر المختار، الأفغاني والنديم ومصطفى كامـل ومحمد فريد، حسن البنا، عز الدين القسام، وفتحي الشـقاقي، آية الله الخوميني، وعباس الموسوي، علي عزت بيجـوفيتش وجوهر داودييف.. إلخ، وعلى أرض فلسـطين باعتبارهـا القضية المركزية للأمة، وباعتبار أنه على أرضـها يتقـرر

مصير أمة الإسلام، إما نصر وإما نهاية لا قـدر الله، فـإن أصحاب منهج المواجهة يتواصلون منـذ بـدايات الغـزوة الصهيونية، ثورة ١٩٢٠ ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، انتفاضة حائط البراق سنة ١٩٢٩، ثورة عز الدين القسام ثم ثورة ١٩٣٦، الكفاح والقتـال الـذي مارسـته الجمـاهير والتنظيمات الإسلامية في معركة ١٩٤٨، الجماهير المسلمة التي انخرطت في العمل الذاتي منذ ١٩٤٨ وحتـى معركـة الكرامة في الأردن مارس ١٩٦٨، الشـيخ حـافظ سـلامة ومقاومة شعب السويس للاختراق الإسـرائيلي فـي ١٩٧٣، الشيخ راغب حرب والمقاومة الإسلامية في لبنـان ١٩٨٢، عمليات الجهاد الإسلامي في فلسطين، وأخيرا حزب الله في لبنان الذي أصبح الحلقة الأهم سياسيا وعسكريا في مواجهـة الكيان الصهيوني..

إذن فحزب الله، والمقاومة الإسلامية في لبنان هي حلقـة من ملفات الكفاح الإسلامي ضد الكيان الصهيوني والهيمنـة الغربية وإذا كان حزب الله (المقاومة الإسلامية اللبنانية) لـم ينشأ من فراغ بل هو امتداد لمجمل الكفاح الشعبي الإسلامي المعاصر، الذي تتداخل حلقاته، فـإن مـن غيـر العلميـة

ولا الموضوعية تحديد تاريخ بعينه لظهـور الحـزب؛ لأن جماهيره ورجاله المؤسسين كانوا جزءا من حلقات الكفـاح السابقة، ولكن يمكننا أن نضع عام ١٩٨٢ كعلامة فارقة في تاريخ الحزب، فعلى أثر الاجتياح الإسرائيلي للبنـان عـام ١٩٨٢ قام عدد من رجال وعلماء الإسـلام أمثـال الشـيخ راغب حرب، وعباس الموسوي بتنظيم عمليات المقاومة في الجنوب، ومع المقاومة وعلى وهج الجهـاد بـدأ الظهـور التنظيمي والحركي لحزب الله، ويعتبر السيد عباس الموسوي أهم مؤسس هذه الحركة وأمينها العام الأول إلى أن استشـهد وخلفه السيد حسن نصر الله عام ١٩٩٢...

ولا شك أن معرفة أطوار حياة الشهيد عباس الموسـوي مؤسس الحزب تلقى ضوءا كبيرا على طبيعة هـذا الحـزب وظروف نشأته وكفاحه..

ولد الشيخ الشهيد عباس الموسوي عام ١٩٥٢ في ضاحية الشياح بجنوب لبنان، واهتم بالقضية الفلسطينية منـذ بدايـة حياته، فالتحق بمعسكرات تدريب المقاومة الفلسطينية في عدة دورات وهو في العاشرة من عمره، وأصيب بكسر في ساقه في إحدى هذه الدورات، كما اهتم اهتماما واسـعا بمعرفـة

وقراءة كل ما يتصل بالقضية الفلسطينية، ثم التحق بمعهد الدراسات الإسلامية في مدينة صور اللبنانية ثم رحل إلى النجف الأشرف بالعراق عام ١٩٦٩ لمواصلة دراساته العلمية، وتتلمذ على يد المفكر الإسلامي العالمي السيد محمد باقر الصدر.

وقد برز السيد الموسوي كعالم وفقيه في سن مبكرة، فكان يلقي المحاضرات ويعقد الندوات في النجف الأشرف ثم عاد إلى لبنان نهائيا عام ١٩٧٨ بعد أن اكتملت في نفسه معالم الثورة والمقاومة فكرا وخبرة من خلال علومه الدينية والعلمية، ومن خلال مشاركته في كفاح شعب العراق ضد الاستبداد، وشارك في إقامة معهد علمي في مدينة بعلبك اللبنانية وشارك في مجمل العمل السياسي الإسلامي المهتم بقضايا المستضعفين والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، وفي عام ١٩٨٢ وعندما اجتاحت القوات الصهيونية أرض لبنان في ذلك الوقت رحل السيد الموسوي إلى الجنوب لتنظيم المقاومة، والتقى في بلدة جبشيت بالجنوب اللبناني بالشهيد الشيخ راغب حرب إمام مسجد جبشيت، وألقى إليه مهمة قيادة المقاومة في الجنوب وأخذ

السيد عباس الموسوي يتنقل من بلدة إلى بلدة في الجنوب ثم في البقاع وضواحي بيروت الفقيرة، ناشـرا لـواء الثـورة واستطاع في خلال سنوات قليلة أن يخرج من رحـم الأمـة الخصب هذا الكيان المتميز المسمى "حزب الله" الذي أصـبح علما على مقاومة الاحتلال الصهيوني منذ عام ١٩٨٢ وحتى الآن وقد استشهد السيد عباس الموسوي عام ١٩٩٢ عنـدما هاجمته وأسرته عدد من الطائرات الحربية الإسرائيلية وهـو في طريقه عائدا من أحد الاجتماعات الشعبية فـي الجنـوب اللبناني..

تعد مسيرة حزب الله منذ نشأته عام ١٩٨٢ وحتـى الآن هي مسيرة منهج المقاومة والمواجهـة للكيـان الصـهيوني وللهيمنة الغربية، ولعل الظروف الموضوعية التـي سـادت المنطقة والعالم في هذه الفترة أعطت الكثير من الزخم لحزب الله والمقاومة الإسلامية والجهاد الفلسطيني واللبناني عموما، ففي ذلك الوقت كانت تتساقط أفكار ورموز حملت صـدقًا أو كذبا لواء المقاومة للمشروع الصـهيوني، كانـت منظمـة التحرير تنحدر منه باتجاه هاوية الاستسلام لإسرائيل، وانتهى بها الأمر إلى السقوط في مستنقع أوسلو؛ فاعترفت بإسرائيل

وأسقطت خيار البندقية، بل تنكرت لكل شهدائها ووصـمتهم بالإرهاب، وأصبح ياسر عرفـات شـرطيا لحمايـة أمـن إسرائيل، وكانت الأنظمة العربية بدورها قد راهنـت علـى خيار السلام مع إسرائيل، وارتفعت نبرة تبرير هذا السـلام مع إسرائيل، بل واعتباره طريقًا لا بديلاً عنه، ومـع تغيـر الظرف الدولي ونهاية الاستقطاب الدولي الذي كان يعطـي هامشًا من حرية الحركة والمناورة بين القـوتين الأعظـم، أصبح الخضوع لإسرائيل والقبول بها أمرا أسـموه واقعـا، وكان لابد أن يظهر من رحم الأمة الخصب كيان لا يخضع للمتغيرات الدولية، ولا يراهن على لعبة السياسة والتناقضات بل يعتمد على قواه الذاتية وثوابت الأمة، ظهر إذن حزب الله وظهرت المقاومة الإسلامية اللبنانية والفلسطينية لتكون هـي الجزء الباقي في جسد الأمة بعد أن اهترأت منظمات وأفكار، ولا شك أن سقوط القوى غير الإسلامية في مستنقع التفاوض والقبول بإسرائيل كان أمرا طبيعيا لأن اعتماد هؤلاء علـى المتغيرات الدولية جعلها في مهب الـريح، وكـذلك اعتمـاد خطابها السياسي على أفكار وأيديولوجيات لم تخرج من رحم الأمة ولا تخاطب وجدانها بل هي غريبة عليها ومريبة، بـل

وأيضا استخدام خطاب غربي أيديولوجي في مواجهة ظاهرة غريبة وهذا بالطبع رصيد نافد لا محالة ولا يصـمد كثيـرا خاصة في المنحنيات التاريخية..

لكن المقاومة الإسلامية التي تعتمد على الجماهير وهـي السلاح الوحيد في المواجهـة، والتـي تسـتند إلـى جـذر أيديولوجي عميق جدا في الوجدان الشعبي "الإسلام"، لابد أن تستمر لأنها تعبير صحيح عن طبيعة الصراع ولأن أدواتهـا لا تنفد.

وهكذا أصبحت المقاومة الإسلامية أملاً لكـل فلسـطيني ولبناني وعربي ومسلم، بل ولكل المستضعفين فـي العـالم، باعتبارها تحمل راية المواجهة للمشروع الاستكباري العالمي الذي يعاني منه كل المحرومين في العـالم، ولأنهـا قـدمت الإسلام كأيديولوجية للفقراء في العالم واعتبرته جذرا ثقافيـا لمشروعها التحريري تحرير فلسطين، وإنهاء الهيمنة الغربية على العالم، ووقف الظلم والعنصـرية اللتـين اتسـم بهمـا المشروع الغربي، وكان من الطبيعي أن يحصل حـزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين على حـب وتقـدير وتضامن كل فلسطيني وعربـي ومسـلم ومستضـعف وأن

تصبح المقاومة رمزا للأمل العربي والعالمي، وأن ينخـرط فيها مباشرة أو بطريق غير مباشر كل شريف وكل ضعيف في العالم..

ولا شك أن صمود حزب الله وانتصاراته المتوالية علـى إسرائيل واستعصاءه على الذبح برغم كل ما فعلته إسرائيل، ومن خلفها الاستكبار الدولي يرجع إلى طبيعـة حـزب الله الجماهيرية، وارتفاعه في ممارساته السياسية والحربية فوق الطائفية والعرقية وبالتالي أصبح يمتلـك عمقًـا اسـتراتيجيا عميقًا لبنانيا وفلسطينيا وعربيا وإسلاميا وعالميا، فضلاً عن أن من سنن الله في هـذا الكـون أن الإنسـان أقـوى مـن التكنولوجيا، وأن سلاح الاستشهادي - الذي كان حـزب الله رائدا له - سلاح لا يمكن مواجهته باعتراف قـادة الغـرب وإسرائيل أنفسهم، وإذا كان من الناحية الاستراتيجية لا يمكن وقف سلاح الاستشهاد فمن الناحية الثقافية فـإن الاستشـهاد يفجر الوعي.

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ وبالتالي يتطـور الأداء السياسي والتنظيمـي والفكـري والفنـي لحـزب الله وللجماهير في كل مكان بسبب سلاح الاستشـهاد، وكشـفت

ممارسات حزب الله وصموده عن مدى هشاشـة إسـرائيل ومدى هشاشة المشروع الاستكباري العالمي، وبعد تجربـة حزب الله لا مجال للكذب والقول بأنه لا طريق ولا إمكانيـة لمواجهة المشروع الصهيوني والاسـتكباري، بـل الجهـاد والمقاومة – مهما ضعفت الإمكانيات - هي الطريق الوحيد ليس للنصر فقط بل لمجـرد النجـاة أيضـا، لأن تكـاليف الخضوع أكبر بكثير من تكاليف المواجهة على كل مستوى، ولعل تتبع مسيرة الصمود لحزب الله في محطاتها الرئيسـية ما يؤكد كل ذلك، ظهر حزب الله إذن والمقاومة الإسـلامية اللبنانية من خلال الرفض الشعبي والمقاومة الشعبية للاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وكانت عمليـات حـزب الله الأولى سرية، ولا يعلن الحزب عـن الجهـة التـي نفـذتها لأسباب تكتيكية، ومنها في ١٩٨٢/١١/١١ إحـدى عملياتـه المهمة وهي العملية الاستشهادية التي نفذها الشـهيد أحمـد قصير عندما اقتحم بسيارة مفخخة مقر الحـاكم العسـكري الإسرائيلي في مدينة صور، وأسفرت عن هدم المبنى تمامـا وسقوط ٢٥٠ إسرائيليا بين قتيل وجريح، وظلت هذه العملية سرية لم يعلن عنها الحزب لمدة ثلاث سنوات، وفي خـلال

هذه الثلاث سنوات نفذ الحزب العديد مـن العمليـات ضـد الاحتلال الصهيوني للجنوب اللبناني مما اضطر إسرائيل إلى الانسحاب من ثلث الأراضي التي احتلتها منـذ عـام ١٩٨٢ وبعد عام ١٩٨٥ حدث تطور نوعي فـي الأداء التنظيمـي والسياسي لحزب الله، وتعرض الحزب لعدد من الاعتداءات الإسرائيلية، كما تعرض لبنان للعديد من الاعتـداءات عـام ١٩٩٣، ١٩٩٦ في محاولـة للقضـاء علـى الحـزب دون جدوى، وكان العدو يستهدف دائما ضرب الأهالي الآمنـين والمدنيين حتى يحدث فجوة بين الجماهير وبـين الحـزب، ولكن كل ذلك لم يؤد إلا إلى المزيد من التلاحم بين الحـزب والجماهير.. ونلاحظ في الأداء السياسي والعسكري لحـزب الله أنه أولاً خرج من رحم الفقراء وإليهم انحاز ومنهم حشد جنوده، وهو بهذا طليعة للمستضعفين والفقراء والمحـررين مما أعطاه جماهيريا منقطع النظير، وأن قيادته هـم علمـاء الإسلام وهم القيادة الطبيعية للأمة، وأنه حرص على تحديـد هدفه فلم يقاتل سوى إسرائيل الهيمنة الغربية، ولـم يتـورط مثل غيره من الحركات الإسلامية في صدام داخلي لا يستفيد منه إلا الأعداء، ونذكر هنا أن حـزب الله وجـه نـداءات

للحركات الإسلامية المصرية بوقف الصـدام الـداخلي مـع السلطة المصرية والتركيز على ضرب الأهداف الإسرائيلية، كما نلاحظ أن هناك انخراطًا واسعا من النساء فـي العمـل السياسي والعسكري لحزب الله، وهـذا يحـل الكثيـر مـن الإشكاليات التي وقعت فيها الحركات الإسـلامية الأخـرى فضلاً عن تلبية حقيقة شرعية وهي ضرورة مشاركة المرأة المسلمة في الجهاد عندما تُغتصب أرض إسلامية ولو بـدون إذن زوجها أو والدها، كما أنه بذلك وضع الطريق الصحيح لتحرير المرأة، لأنه لا تحرير للمرأة إلا بتحريـر مجتمعهـا وأرضها والدفاع عن دينها وثوابتها..

تحليل مضمون الخطاب الأيديولوجي لحزب الله

الخطاب الأيديولوجي لحزب الله أوسع من أن يحاط به في دراسة أو كتاب أو عدة كتب، وهو خطاب يستند إلى لإسلام أي إلى الكتاب والسنة وسيرة الأئمة والصـالحين ومجمـل الممارسات الحضارية الإسلامية، وهو يستوعب بالضـرورة أطروحات واجتهادات المفكـرين الإسـلاميين المعاصـرين بمختلف انتماءاتهم وتوجهاتهم. ولكن فـي المقابـل يتميـز بخصوصية خاصة في إطار التركيز على قضـية التحـرر الوطني من ناحية، والعمل كطليعة لكل الأمة بكل طوائفهـا وفئاتها، بل ويقدم الإسـلام كأيديولوجيـة للفقـراء عمومـا للانعتاق من الهيمنة الاستكبارية العالمية ومن خلال بعـض كلمات الشهيد عباس الموسوي نستطيع أن نحدد المضـمون العام للخطاب الأيديولوجي لحزب الله..

ففي الكلمة التي ألقاها في مدينة بعلبك احتفالاً بالمحررين من سجون العدو الصهيوني بتاريخ ٤ رمضان ١٤٠٥ هـ ـ قال الشهيد:

"إننا نتساءل ماذا استفدنا من تقديم ١٠٠ ألف قتيـل فـي حرب طائفية تفريقية، نقول للإخوة فـي بيـروت بحـق الله عليكم، بحق رسول الله، وبحث المجاهـدين فـي الجنـوب، وبحق الشهداء أن توقفوا النزف الداخلي، يجـب علـيكم أن توجهوا بنادقكم إلى العدو الذي لا يزال يرابط علـى حـدود المسلمين، إسرائيل وضعت رؤوسا نووية في الجولان مـن أجل قتل المسلمين، ونحن نقاتل بعضنا بعضا، يجب أن نتعلم من سجناء أنصار كيف توجه البندقية، إسرائيل هـي العـدو الأول الأساسي وليس أي واحد من المحليين، نحـن اعتُـدِي علينا كثيرا وتحملنا أمريكا، وفرنسا اعتدتْ علينا، ويجب أن يتحمل طرف على الساحة من الآخرين لتبقى البندقية متوجهة إلى العدو، فكما يتوجه المسلم إلى القِبلة الشريفة فالرصـاص يجب أن يتوجه إلى صدر العدو فقط"..

ونلاحظ هنا ارتفاع الخطاب الأيديولوجي لحزب الله عـن الطائفية والاقتتال الطائفي ورفضه لهذا الأمر، والدعوة إلـى توحيد الجهود لمواجهة العدو الرئيسي إسرائيل.. فالرصاص يجب أن يتوجه إلى صدور العدو فقط..

وفي كلمته التي ألقاها في مدينة جبشيت في ١٢ جمـادى الأولى ١٤٠٦ هـ قال الشهيد:

"إن الغرب استغل العلم من أجل تنفيذ مصالحه واسـتعباد الناس وقهرهم، والعلم في عصرنا الحاضر قدم لنا مظهـرا من مظاهر القوة فـي أيـدي المسـتكبرين؛ فتحولـت كـل النظريات في الغرب إلى برامج لضرب واستغلال قـدرات الشعوب المستضعفة"..

والشهيد هنا يحدد ملامح الهيمنة الغربية، ويقدم في الوقت نفسه حركته – والحركـة الإسـلامية عمومـا - كطليعـة للمستضعفين في العالم في مواجهة الاستبكار الغربي الـذي يستغل قدرات الشعوب المستضعفة..

وفي كلمة له في الضاحية "بـرج البراجنـة" فـي ٣ ذي الحجة ١٤٠٦ هـ قال:

"إن مقاومة الآخرين في الغالب هي مقاومة سياسية حتـى عملياتهم العسكرية دائما يجرونها لمسائلهم السياسية فقط، أما أبناء المقاومة الإسلامية فإنهم ينطلقون في مقاومتهم للعـدو الإسرائيلي من التكليف الشرعي، إن المقاومـة الإسـلامية أسقطت ما يسمى عسكريا بالتوازن الاستراتيجي مع العـدو

الصهيوني، لأن المقاومة ترتبط بالله وبمبادئ الإسلام، ولهذا نعتبر أن إنجازا كبيرا قد تحقق على أيدي أبنـاء المقاومـة الإسلامية من خلال نسـفهم لتربيـة الضـعف والاسـتكانة والاستسلام"..

والخيار هنا – أي خيار المقاومة - خيار استراتيجي، لا يخضع للمتغيرات السياسية، بل هو تكليف شرعي لا يتغير..

ويقول الشهيد أيضا:

"إننا مطوقون من كل جانب، ويجـب علينـا ألا نرمـي سلاحنا لأن الجزار يغريه منظر النعجة، أما الذئب فلا يفكر في الهجوم على الأسد، وإن لم تكونوا أسودا حقيقيـين فـلا تفكروا بالوقوف على أقدامكم أبدا" ذي الحجة ١٤٠٦ هـ..

ويقول: "يجب على الأمة أن تحدد أعداءها فـي الـداخل والخارج لتكون على حذر منهم، والقرآن يقول إن الخطر في الطواغيت الكبار ولكن يقول أيضا بالحذر مـن المنـافقين". كلمة في ١٠ ذي الحجة ١٤٠٦ هـ..

ويقول: "إن أبناء المقاومة الإسلامية بعمليـاتهم النوعيـة أرادوا أن يقولوا للأمة لماذا أنت نائمـة وخائفـة، لمـاذا لا تقومي في سبيل الله لتصبح الكلمة واحدة هي لا إلـه إلا الله،

ونحن اليوم نوجه خطابنا للجميع ونقول لهم ابرزوا قوتكم في وجه العدو الإسرائيلي، تعالوا معنا نقاتل سويا جنبا إلى جنب وسلاحا إلى سلاح وستروننا نقبل أيديكم، نقبـل أيـدي كـل المجاهدين وأفواه كل البنـادق التـي توجـه إلـى العـدو الصهيوني"..

كلمة للشهيد - ١٥ محرم ١٤٠٧ هـ.

أربعة أيام في بيروت

اقتراب إنساني من رجال حزب الله

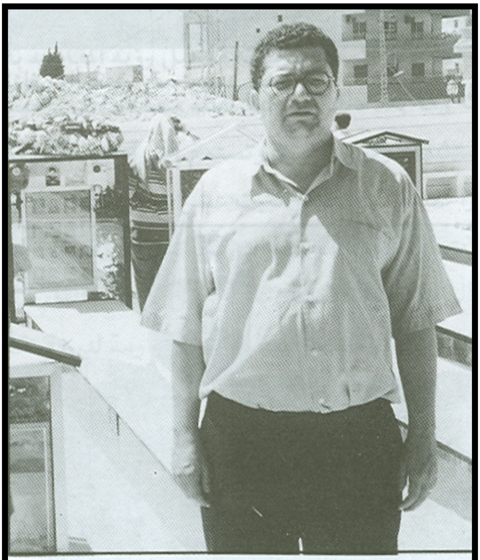

ؤلف ويبدو من الخلف مقابر قانا

هذه تجربة اقتراب وتعايش إنساني مع رجال وعناصر حزب الله واحتكاك مباشر بهم، ولقاء مع حسن نصر الله الأمين العام للحزب، وذلك قبل تحقيق الانتصار واندحار القوات الإسرائيلية وانسحابها، وبالتحديد في الفترة من ٢٧/٧/ حتى ١٩٩٨/٧/٣١، وفي تلك التجربة إحساس كبير بقرب الانتصار وببزوغ الفجر الجديد من قلب الجنوب..

المؤلف

السيد حسن نصر الله وحوار مع المؤلف والدكتور رفعت سيد أحمد

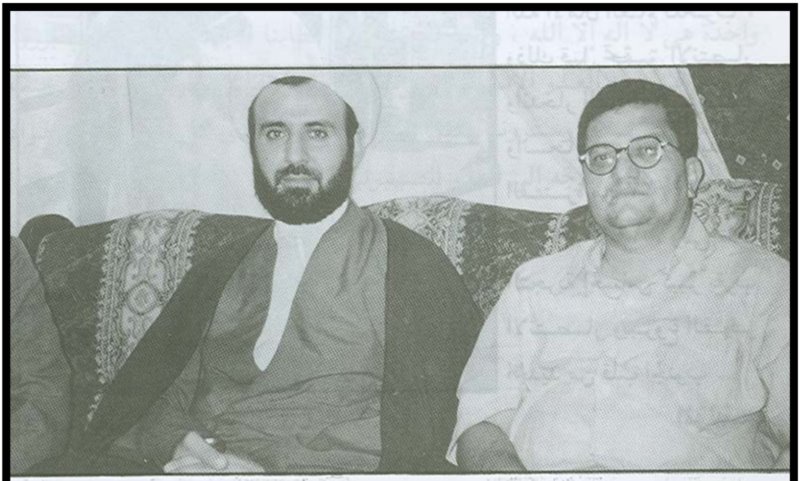

الشيخ نبيل قاووق مسئول المقاومة فى الجنوب اللبنانى مع المؤلف

من الجنوب الصامد

يخرج الفجر الجديد

تلك الأيام الأربعة التي قضيتها فـي الجنـوب اللبنـاني وبيروت والبقاع ليست كغيرها من أيام حياتي، ذلك أن الحياة على وهج المقاومة له طعم آخر إنه طعم الحياة الحقيقة..

الحياة مع المجاهدين الصامدين الصـابرين لهـا طعـم الياسمين والريحان والقرنفل، بل هي طعم الفجر الآتي.

ويستطيع أن يؤرخ لحياته ما قبل رؤية المقاومة بـالعين والتعاطي المباشر مع أهلها وما بعد ذلك. إنها نقطة مفصلية في الحياة أن تعيش أجواء الجهاد والاستشهاد وترى الرموز وتستمع إلى تجارب المجاهدين وقصص الشهداء.

والحقيقة أنني طالما كتبت عشرات بل مئات المرات عن المقاومة في كتب أو مقالات أو ألقيـت المحاضـرات عـن المقاومة وفضلها في استنهاض الأمة، ولكن بعد الرؤية يحس الإنسان بالعجز بل يتوقف القلم الذي طالما كان مدرارا سيالاً بالكتابة عن الإحساس بعظمة هذه المقاومـة لدرجـة تقطـع الأنفاس.

كانت مفاجأة لي حينما التقيت بالدكتور أحمد مللي (أبـو راغب) في مكتبه في اليوم الأول للزيارة في المركز الثقافي بالضاحية الجنوبية.. قال لي مرحبا بالرجل صاحب النبـوءة التي تحققت، فقلت له أية نبوءة، قال لي: إن الدكتور فتحـي الشقاقي رحمه الله كان قد نقل له أنك توقعت أن تكون لبنان وبالتحديد الجنوب هو من يحمل راية المقاومة الحقيقية ضـد إسرائيل، ويفتح فجر العالمية الإسلامية الثانية.. وكنت بالفعل قد نسيت هذا الكلام الذي ربما مر عليـه الآن أكثـر مـن عشرين عاما..

ولكن على كل حال فإن نبوءة نبتت في غرفة المناقشـات لا قيمة لها أمام الذين دفعوا الدم وأعطوا الأمة لحظـة عـز غير مسبوقة..

كان علينا أن نرحل أنا والدكتور رفعت سيد أحمـد إلـى الجنوب وصباح الخمـيس ١٩٩٨/٧/٣٠.. وانطلقـت بنـا السيارة يقودها ذلك الشاب الظريف الذي تحبـه بمجـرد أن تراه والمكنى "أبو عباس" رغم أنه ليس له أولاد بهذا الاسم، بل له ثلاثة أبناء آخرين منهم حسين والزهراء، وقلت له إذن أنت أبو حسين وليس أبو عباس، فقال الحقيقة أنني متمسـك

باسم "أبو عباس" حتى إذا أخطأ أبو عباس قلت ما ذنب "أبـو حسين"؟..

وكان يرافقنا أيضا الأستاذ نديم طاهر، وهو رجل يثيـر الاحترام بشدة وإن كان يحب الكلام بكثرة، المهم وصلت إلى "صيدا"، حيث رافقتنا حراسة إلى الجنوب، وفي الطريق من "صيدا" إلى "صور" وقفنا لقراءة الفاتحة على قبـر الشـهيد عباس الموسوي الذي استشهد مع زوجته وابنه في مكان بين صيدا وصور وهناك نصب تذكاري له، وكان السيد عبـاس الموسوي هو مؤسس حزب الله وحركة المقاومة الإسـلامية ضد إسرائيل في لبنان، ومعنى أن يستشهد هـذا المؤسـس والأمين العام برصاص الطيران الإسرائيلي لدى رجوعه من حفل تأبين مؤسس آخر من مؤسسي الحركة وهـو الشـهيد راغب حرب، ومعنى أن يستشهد الأمين العام للحركة أن هذه الحركة يقاتل فيها القيادات، ولا يكتفون بالجلوس في الغرف المكيفة، ومعنى هذا أنها حركة لن تُهزم بـإذن الله، لأنـه لا تموت حركة يستشهد أمينها العام وزوجته وابنه، وإذا كـان الشيء بالشيء يذكر فإن الأمين العام الحالي لحزب الله السيد حسن نصر الله قد استشهد ابنه هادي نصـر الله فـي أحـد

المعارك مع العدو الصهيوني، وهكذا يقدم القواد أبناءهم ولا يدخرون للمستقبل كما يقول سماحة السيد حسن نصـر الله، وبالتالي فإن الأمر ليس مجرد ظاهرة فردية بل هو سـلوك مستمر وتقليدي لدى هذه الحركة.

أكثر من هذا أنني عرفت أن الجميع بما فيهم المسـئولين السياسيين والمدنيين في حزب الله يـذهبون إلـى المواقـع ويقاتلون أو يقومون بالحراسة لمدد معينة ثم يعـودون إلـى مسئولياتهم المدينة أو السياسية، لأن هذا الحـزب يضـرب المثل على أن الجهاد هو الذي يفجر الوعي ويؤدي بالإنسان إلى الرقي والكفاءة السياسـية والمدنيـة ولـيس العسـكرية وحدها..

وصلنا إلى صور واستقبلنا مجاهد كبير ومعروف، ولـه زمن طويل في الجهاد ضد إسرائيل.. إنه مسئول المقاومـة في الجنوب الشيخ نبيل فاروق الذي يبهرك بوعيه السياسـي وبساطته وتكلم الرجل عن تحليله للمرحلة بصورة تعطيـك الانطباع بأنك أمام محلل سياسي من الطراز الأول، فضـلاً عن قائد ميداني دوخ إسرائيل ومطلوب رأسه كل يوم.

كان الجو جميلاً ومرحا على مائدة من السـمك الطـازج الذي تشتهر به صور، وكان هناك قتال قد اندلع بين المقاومة والقوات الإسرائيلية في قطاع قريب من صـور، وانشـغل الرجل عنا بمتابعة ما يحدث، ثم اعتذر لنا عن مرافقتنا إلـى الندوة التي عقدت في مكان آخر في صور، حيث التقينا بأهل الجنوب، وألقى كل من الدكتور رفعت سيد أحمد والأسـتاذ محمد فنيش نائب البرلمان وأنا كلمات في الحضور، وكـان من المفروض أن يحاضرنا أهـل الجنـوب الصـامد لا أن نحاضرهم نحن، لأن القاعدين عادة يتعلمون من المجاهدين.. كانت أجزاء الندوة حارة..

وكان فرح كبير من أهل الجنوب أن مصر تحس بهم، بل هي الحقيقة تعتز بهم، فمصر ليست كامب ديفيـد بـل هـي سليمان خاطر، وأيمن حسن، وسيد نصير. ومع العودة فـي المساء صممنا على أن نرى قرية "أنصارية" تلك القرية التي شهدت لحظة عز غير مسبوقة للأمـة، حيـث اسـتطاعت المقاومة أن تضرب مثلاً في إمكانية هزيمة أقوى الأسـلحة الإسرائيلية.. ففي أحد البساتين دارت معركة استطاعت قوات المقاومة أن تقتـل ١٢ إسـرائيليا مـن أفضـل العناصـر

الإسرائيلية، بل هي أكثر العناصر العسـكرية الإسـرائيلية تدريبا، ويتكلف تدريب الفرد من هذه المجموعة الإسـرائيلية أكثر من ٥ مليون دولار حتى يصبح عنصرا من عناصـر تلك القوة، وتدعي إسرائيل أن الفرد من هذه القوة قادر على هزيمة كتيبة بأكملها، ولكن الآن تستطيع أن تقول أن فـردا واحدا من المقاومة استطاع أن يهزم مجموعة كاملة من هذه القوة، وهذا يثبت من جديد أن الإنسان أقوى من التكنولوجيا وأن المقاومة أسقطت أسطورة إسرائيل التي لا تُقهـر بـل، حولتها إلى أسطورة إسرائيل المذعورة، أخذنا نتأمل الأرض والمكان والأشجار المحترقة التي نبتت في جذوعها فـروع أخرى خضراء.. في إشارة إلى الخير الذي يتحـدى الشـر والحياة التي تتحدى الموت ثم التقط أحدهم قطعة من القماش، وكانت من ملابس جندي إسرائيلي، فأخذها الدكتور رفعـت سيد أحمد ليحتفظ بها كتذكار قائلاً ربما أبادلها بأسير أو أكثر في يوم ما، وبمناسبة مسألة تبادل الأسرى التي تمت مؤخرا حيث استطاع حزب الله أن يفرج عن ٦٠ أسيرا لبنانيا مـن جميـع الاتجاهـات والطوائـف، مقابـل رفـات الجنـود الإسرائيليين، ألا يعطينا هذا الإشارة بأنه حتى الإفراج عـن

الأسرى لا يتم بالاتفاقيات، بل بالقتال، ومن المعروف أنه لا يزال في السجون الإسرائيلية الكثيرين من حماس والجهـاد الإسلامي لم يستطع ياسر عرفات أن يفرج عنهم وفقًا لاتفاقية أوسلو!

عودة إلى بيروت، ولقاء سماحة السيد حسـن نصـر الله الأمين العام لحزب الله، هذا الرجل المجاهد البسـيط الـذي يتسرب إلى مسام جلدك كالعطر، وللمفاجأة فـإن الرجـل لا يزال شابا يبلغ ٣٨ عاما وهو الأمين العام للحزب منذ خمس سنوات، وقارن هذا برؤساء الأحزاب عندنا هم جميعا فـوق السبعين!.

والحقيقة أن كل قيادات حزب الله شباب في بواكير العمر، وهذه خصوصية لهذا الحزب، وربما أحد أسـباب نجاحـه، فالجميع شباب الروح والقلب والعمر أيضا، والأمـين العـام سماحة السيد حسن نصر استقبلنا ببشاشة وترحـاب وأشـاد بشعب مصر وتاريخها، وقال أنه أصدر بيانًا اسـتنكر فيـه حادث الأقصر، وأنه لا يوافق على القتال بين أبنـاء البلـد الواحد، بل القتال يجب أن يتوجه إلى إسرائيل، ثـم طمأننـا الرجل أن آلية المقاومة لن تتوقف، حتـى ولـو انسـحبت

إسرائيل من جنوب لبنان، لأن هناك ٧ قرى لبنانيـة محتلـة منذ ١٩٤٨، سوف يجعلها ورقة يستند إليها فـي اسـتمرار القتال ضد إسرائيل – وأنه يحتفظ بهذه الورقـة كاحتيـاطي يستخدمها عند اللزوم.

وعندما تكلمت مع سماحة السيد الأمـين العـام، حملتـه الأمانة، أمانة المسلمين والمستضعفين، ألا يقع في مسـتنقع التفاوض وألا يكف عن خيار المقاومة، حتى ولو تم قتل كل عناصر الحزب، لأن الحزب أصبح نموذجا، ولا ينبغي إهالة التراب على النموذج، وأن المقصود إسرائيليا وأمريكيا الآن ليس ذبح حزب الله فقط، بل ضرب النموذج الذي قدمه حزب الله ويمكن أن يكون مثالاً يحتذى في هـذا المكـان أو ذاك، داخل أو خارج لبنان، اليوم أو غدا، وقد وعد الرجل أن يظل وفيا لخيار المقاومة حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني من النهر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب.

كان لنا لقاء آخر في البقاع الغربـي، حيـث المعـارك المتواصلة والمستمرة مع العدو الصهيوني، وحيث التـاريخ القريب المفعم بقصص البطولة والاستشهاد، واستقبلنا مسئول حزب الله بالبقاع الحاج أحمد قمر وفاجأنا بأنه استضافنا على

الغداء في مطعم على بحيرة جميلة (بحيـرة قرعـون) وأن المطعم ملك لشخص مسيحي، وأضاف أنه يحـرص علـى علاقات جيدة مع الجميع سنة وشـيعة ودروزا ومسـيحيين، وأن حزب الله ضرب المثل في البقاع في الارتفـاع علـى الطائفية، وأن الجميع فـي المنطقـة سـنة وشـيعة ودروز ومسيحيين يعتبرون أنفسهم سندا لحزب الله في مقاومته ضد الاحتلال الإسرائيلي، وكان الرجل صادقًا، فقد لاحظنا أثنـاء الندوة التي نظمت لنا في بلدة "سحمر" أن الحضور الكثيـف جدا، كان به الكثيرون من المسـيحيين والـدروز والسـنة والشيعة، بل كان هناك الـوزير المسـيحي روبيـر غـانم، والمفكر المسيحي جورج جيور، وهكذا رأينا علـى الأرض كيف يكون الحزب الإسلامي حزبا ولا طائفيا.

الرحلة مفعمة بالرموز والأسماء، الأستاذ أبو طـه ذلـك المثقف والكاتب الوديع الذي جمعتني به أمسيات من المناقشة بعد العودة من الندوات، واكتشفت فيه مشروع مفكر لامـع، وكذلك هناك الحاج حسين مدير تليفزيون المنار، وهي قنـاة تليفزيونية تابعة لحزب الله استطاعت أن تجبر الجميع داخل وخارج لبنان على احترامها، وأن تقدم إعلاما متميزا بل أن

تصبح هي وإذاعة النور هدفًا استراتيجيا للقصف الإسرائيلي، وكذلك السيد إبراهيم الموسوي المحـاور الـذي أدار معنـا حوارا تليفزيونيا ساخنًا كشف فيه عن إلمامه وثقافته الرفيعة، وضرب المثل في كيفية إدارة الحـوار، وأيضـا لا أنسـى الأستاذة رباب الحسن مذيعة إذاعة النور التي قامت بـدورها بإدارة حوار خصب وخلاق، تكتشف فيه مدى مساهمة المرأة في مسئوليات المقاومة، ومدى ذكاء المرأة وتألقها وجدارتها، والمرأة التي هي نتاج حالة المقاومة، وليست المنفصلة عـن هموم أمتها، أوالمرددة كالببغاء لأراجيـف الغـرب وقيمتـه وسلوكه.

حقًا إن الجهاد هو مفجر الوعي والتقوى والنهضة.

هزيمة الآلة العسكرية الإسرائيلية في لبنان وآثارها على البنيان العربي

لا يختلف اثنان – من الأعداء أو الأصدقاء - أو حتى من الإسرائيليين أنفسهم على أن الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان هو هزيمة كاملة لآلة الحرب الإسرائيلية، وهو انتصار لبناني وعربي يدعو إلى الفخر والزهو والتأمل.

ولا شك أن هذا الانتصار اللبناني والعربي على آلة الحرب العسكرية الإسرائيلية في جنوب لبنان كانت وستكون له آثار مهمة، على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي، على النبيان العربي وعلى القضايا الداخلية والخارجية على حد سواء..

بداية فإن الانسحاب الإسرائيلي بعد ٢٢ عاما من الاحتلال هو فرار إسرائيلي في مواجهة قوة أقل منها عددا وعدة، وقد جاء هذا الفرار بسبب عدم قدرة إسرائيل على تحمل هذا القدر من الخسائر الذي تسببه لها المقاومة الإسلامية في لبنان، بسبب عملياتها الجريئة والمتميزة، ولم تنسحب إسرائيل بالطبع إيمانًا بالسلام أو تطبيقًا لقرارات الأمم

المتحدة ذات الصلة، أو بسبب الضغوط الدوليـة والإقليميـة فكل هذا – في هذا الوقت - كان ولا يزال يصب في عكس اتجاه الانسحاب..

وأيضا فإن تفسير الانسحاب الإسرائيلي على أنه محاولـة إسرائيلية لنزع ورقة تفاوضية مهمة من سوريا، وهو محاولة إسرائيلية إعلامية لنزع وتعطيل تراكمـات الثقـة بـالنفس والزهو واستخلاص الدلالات من نجاح مقاومة صغيرة عددا وعدة في هزيمة أقوى جيوش المنطقة، بل وآلـة عسـكرية واستخباراتية ضخمة على مستوى إسرائيل بل ومـن يـدعم إسرائيل استخباراتيا وسياسيا واقتصاديا..

ولعل تلك الدلالة من الأهمية بحيث أنها سوف تتعـرض لحملات إعلامية ضخمة في محاولة سحبها من المفاهيم، هذه الدلالة مرة أخرى هي أنه بالإرادة والعزم والتصحيح يمكـن هزيمة إسرائيل، وأن الإنسان أقوى مـن التكنولوجيـا، وأن الحديث عن قوة إسرائيل وعدم القدرة على مواجهتها حديث لم يعد له مصداقية، وهذا يعني إمكانية تكرار التجربـة فـي زمان ومكان آخر – وهو ما يعني من وجهة نظرنـا - أن بداية النهاية لدولة إسرائيل قد بدأت ملامحها..

آثار الهزيمة الإسرائيلية أكثر من أن تُحصى ولعلنا نشير إلى بعض منها، فمثلاً ثبت يقينًا أن إسرائيل لا تفهم غير لغة واحدة وهي لغة القوة، وقارن هنا بين الوضع على الجنـوب اللبناني والوضع بخصوص المسار الفلسطيني!!.. وأن الأمة لا تزال بها خلايا حية قادرة على إنزال الهزيمـة بالعـدو، وهذه الخلايا قادرة على تجديد شباب الأمة وإيقاظهـا مـن نومها وإنهاضها من كبوتها، ولعل منظر الجندي الإسرائيلي المذعور والخائف أمام رجال المقاومـة الإسـلامية كفيـل بإعطائنا لحظة عز غير مسبوقة ونقطة ضـوء فـي النفـق المظلم، وهي أيضا التي تسببت في الضغط علـى التماسـك الاجتماعي الإسرائيلي وفجـرت فـي الـداخل الإسـرائيلي حركات وأوضاعا وأمورا تعبر عن التردي النفسـي علـى عكس ما كـان يحـدث دائمـا علـى الجـانبين العربـي والإسرائيلي..

ومن الآثار المهمة جدا لتجربة المقاومة الإسلامية اللبنانية هي إنها نسفت – نسفًا - منطق دعـاة التطبيـع، حيـث إن القاعدة الأساسية لدعاة التطبيع هي أنه مادام ميزان القـوى العسكري والسياسي مختل تماما لصالح إسـرائيل، وأنـه لا

فرصة هناك لاسترداد الحقوق عن طريق القوة، فلا منـاص بالرضا بالقدر المتـاح عـن طريـق إقنـاع الإسـرائيليين والتفاوض معهم وإقامة حوار مع دعاة السلام في إسـرائيل للضغط على إسرائيل بالسـلام والتطبيـع لانتـزاع بعـض الحقوق، ومع المغالطات الكثيرة في هذا المنطق، فإن تجربة المقاومة نسفته من أساسه، حيـث إن التجربـة تقـول إنـه بالإمكان هزيمة إسرائيل، وإن هناك طرقًا ووسـائل ليسـت بالضرورة الحرب النظامية يمكن من خلالها إنزال هزيمـة عسكرية بإسرائيل، المقاومة الشعبية مثلاً، ولعـل اكتشـاف السلاح العربي الرهيب، وهو سلاح الاستشهاد والـذي تـم اكتشافه أو قُل إعادة استخدامه بعد قرون طويلة، والذي أثبت أنه قادر على هزيمة أي قوة مهما كانت، وأي جبروت مهما علا وطغَى وتكبر، هذا الاكتشاف أعاد ميزان القوى لطبيعته وأصبح بالإمكان الحديث الآن عن قدرة ١٢٠ رجـلاً فقـط على هزيمة إسرائيل بالكامل وتحرير كامل التراب الفلسطيني من البحر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب، على أسـاس أن عملية استشهادية واحدة كل شهر لمدة عشر سنوات كافية

لإجبار الإسرائيليين على الهرب مـن فلسـطين كلهـا، لأن اليهود كما نعلم "أحرص الناس على الحياة"..

وفي الحقيقة فإن الانتصار اللبناني على إسـرائيل، بمـا سيتركه من آثار نفسية على العرب سوف يدفع بالضـرورة في اتجاه التقدم الصناعي والزراعي والاقتصادي والحضاري عموما لأن مناخ الثقة بالنفس سيؤثر بالضرورة على سـلوك العربي إيجابيا، ولعل هذا هو مناط تفسير الآية الكريمة:

﴿**والذِين جاهدوا فِينَا لنَهدِينهم سبلنَا**﴾ وهي تؤكد علـى جدلية الجهاد والوعي والنهضة، بل أكثر مـن هـذا سـوف يحدث نوع من الانفراج السياسي في الدول العربيـة علـى مستوى احترام حقوق الإنسان وتوسيع الهامش المتـاح مـن الحرية، بل أيضا في قريب الفجـوة بـين مختلـف القـوى السياسية، بل الحكومات والمعارضة السرية والعلنية ولعلنا لا نضيف جديدا إذا قلنا إن مبادرة وقف العنف التـي أطلقهـا القادة التاريخيون لحركات العنف في مصر، كانت في جـزء منها نوعا من الاستجابة لما تركه الجهاد المتميز لحـزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان من تراكمات سياسية وتراكمات وعي، ولفت نظر الإسلاميين في كل مكـان إلـى جـوهر

المعركة، وأيضا ما حققته تلك المقاومة من شـعبية وسـمعة عالية في الشارع العربي كان عـاملاً ضـاغطًا للحركـات الأخرى في اتجاه الإقتداء بها أو الاستفادة من تجربتها..

بل لعلني لا أكون مبالغًا إذا قلـت إن تجربـة المقاومـة الإسلامية في لبنان كان سببا مهما من أسباب التقارب العربي الإيراني، وإزالة كثير من الجفوة وسوء الفهم المتبادل بـين الطرفين..

والمهم الآن ألا يتم سحب كل هذه التراكمات عن طريـق الحروب النفسية، فنخسر بالغباء والدعاية السوداء ما كسبناه بسواعد الشباب المجاهد..

ألا إن حزب الله هم المفلحون

حوار مع الشيخ نصر الله زعيم حزب الله

قبل أعوام سألت الأمين العام لـ (حزب الله) السيد حسن نصر الله عن شعوره وهو يرسل هؤلاء الشبان إلى المـوت فأجابني (صدقني إنهم يتسابقون لإدراج أسمائهم في لـوائح العمليات الجهادية والاستشـهادية.. إنهـم لا يـذهبون إلـى الموت، يذهبون إلى النصر ودماؤهم لن تضيع) تذكرت ذلك الكلام حين التقيت السيد نصر الله مجددا قبل أيام وفي المكان نفسه ضاحية بيروت الجنوبية، ذهبـوا إلـى النصـر فعـلاً وسيتردد دوي هذا الانتصار في سـاحات قريبـة وبعيـدة، وسيكون لهذا الانتصار ثماره ومفاعيله وانعكاساته في لبنان، لم تنته رحلة (حزب الله) مع ارتفاع علَمِـهِ علـى الحـدود اللبنانية الإسرائيلية، وسيتردد اسمه واسـم زعيمـه كثيـرا وطويلاً، ففي زمن تآكل الأحزاب يرجع (حـزب الله) مـن انتصاره حزبا قويا مسلحا بإنجازه وعلاقته بالناس في المياه التي يسبح فيها. وفي زمـن لبنـاني توقـف عـن إنجـاب

الزعامات والأقطاب والقامات يطل حسـن نصـر الله فـي صورة الزعيم الواثق، ويفسح الآخرون مكانًا لمن يسـلمون اليوم بأنه (لاعب كبير وخطير) ويشرحون، (كبير لأنه حقق إنجازا غير مسبوق، وخطير لأنه يجيد القراءة ويجيد التشدد والمرونة معا، ولأنه يجيد السبر بين الألغام).

سألناه عن النصر وصانعيه ومصير المقاومة وسـلاحها فلمعت عيناه وهو يتذكر الشهداء الذين فاتتهم فرصة الاحتفال بنصر صنعوه، قال إن أكبر عملية تأسيسية لـ (حـزب الله) كانت عملية استشهادية نفذها أحمد قُصير حين فجـر مقـر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور (١١ تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٨٢) موقعا ٨٥ قتيلاً فـي صـفوف العسـكريين الإسرائيليين، وأضاف أن تلك العمليـة كانـت أول عمليـة استشهادية من حيث الشكل والمضـمون، وكانـت قـدرتها الاستنهاضية مهمة جدا، إذ أعطت أملاً ومعنويـات كبيـرة للمقاومة ومشروعها، وأوضح أن (حزب الله) تعمـد حينهـا عدم إعلان مسؤوليته لأسباب أمنية.

أصبح الجنوب اللبناني في قبضة المقاومة وأصبحت قواتكم على الحدود مع إسرائيل، كيف ستتعاملون مع الدولة العبرية من الآن فصاعدا، علما بأن قضية "مزارع شبعا" غير محسومة من وجهة نظر مجلس الأمن؟

- نحن نعتبر أن هناك انتصارا كبيرا تحقق بعودة جزء كبير من الأرض اللبنانية، لكن طالما أن منطقة مزارع شبعا مازالت تحت الاحتلال، فنحن لا نعتبر ما حصل انسحابا كاملاً، فالأمور ليست كذلك، وهذا يعني أننا سنتابع جهادنا لتحرير هذه الأرض المحتلة، وليس مهما ماذا يعتبرها مجلس الأمن الدولي؟ المهم أن لبنان يعتبرها أرضا لبنانية وهذه ليست أرضا متنازعا عليها، وإذا كانت هناك دعوى إسرائيلية بأن هذه الأرض لسورية فسورية تقول إن هذه الأرض لبنانية، وهي حاضرة أن توقع على ذلك وتقدم كل الوثائق لتؤكد.. إذن في الحقيقة هناك جزء كبير من الأرض اللبنانية تم تحريره، ولكن هناك جزء آخر لم يحرر، وبالتالي فإن قضية المقاومة مازالت قائمة.

هل أنتم على استعداد لتسليم الدولة اللبنانيـة مسـؤوليات الأمن في القرى المحررة، أم ستكون هذه القـرى منطلقـًا لعمليات لاحقة ضد إسرائيل؟

• بمعزل عن مستقبل عمليات المقاومة في هذه المنطقة فنحن لا نريد أن نتحمل مسؤوليات أمنية فيها، ولسنا سلطة أمنية، ولم نكن سلطة أمنية في أي يوم من الأيام في لبنان، ولسنا بديلاً عن الدولة، ومن الطبيعي أن تتحمل الدولة المسؤولية الأمنية، هل ترسل الدولة الجيش اللبناني أو قـوى الأمـن الداخلي؟ وكيف تحافظ على الأمن في هذه المنطقـة فهـذه مسؤوليتها.

بعد انهيار (جيش لبنان الجنوبي) أي ضـمانات سـتقدمون للمدنيين هناك بمختلف طوائفهم).

• نحن أعلنا منذ مدة طويلة أن سكان المنطقة المحتلـة هـم أهلنا وإخواننا، وأكدنا ذلك في أكثر من مناسـبة، وكانـت هناك اتصالات مباشرة مع فعاليات هذه المنطقة، والتقينـا عددا كبيرا من سكان هذه المنطقة وعلى كل حـال هـذه الأيام تشهد أن هذه المنطقة تحرر، ولم تحصل أية مشـكلة

مع السكان، بل كانت المقاومة موضع ترحيب السكان، ولم تحصل أية إشكالات وأعتقد أن الأمور ستكون على أفضل ما يرام، ونحن عمليا تجاوزنا مرحلة تقديم الضمانات لأن الأمور في منطقة الشريط الحدودي انتهت لمصـلحة هـذا الشعب ولمصلحة عملية التحرير.

القوة الدولية معنية بالمحافظة على الاسـتقرار ومسـاعدة الدولة اللبنانية على بسط سلطتها،، كيف سـتتعاملون مـع هذه القوة؟

- الأمر يتوقف على مهمة هذه القوات وأدائهـا، المهـم أن تكون مهمة هذه القوات هي الدفاع عـن المعتـدى عليـه والمظلوم، وهو لبنان الذي تعرض منذ العام ١٩٤٨ إلـى اعتداءات متكررة واحتلال أراضيه وارتكاب مجازر بحق شعبه، والمهمة والأداء هما اللذان سيحكمان علاقتنا بهـذه القوات، ومن حيث المبدأ ليست لنـا مشـكلة مـع قـوات الطوارئ ونحن همنا الأساسي تحرير ما تبقى من أرضـنا المحتلة.

بماذا شعرت لحظة انسحاب القوات الإسرائيلية ومـا هـو مستقبل عناصر المقاومة بعد الانسحاب؟

- بالتأكيد شعرت بالاعتزاز وهذا يوم كنـا ننتظـره بفـارغ الصبر، وكنا على يقين من مجيئه، وكنا نعتقد بأنه سيكون قريبا أكثر مما يعتقد العدو أو الصديق.

على المستوى العاطفي، أول ما حضر في ذهني ووجداني هم الشهداء الذين صنعت دماؤهم الزكية هذا النصر بالدرجة الأولى، والذين يجب أن نحفظ لهم هذا الفضل علـى لبنـان وعلى الأمة بكاملها، وأن نكون أوفياء لدمائهم وللأهداف التي استُشهدوا من أجلها ونحن اليوم ننعم بالحرية والحياة الكريمة بفضل تضحياتهم العظيمة وفدائهم الكبير.

بالنسبة إلى عناصر المقاومة لم يحن الوقت بعد للحـديث عن مستقبل هؤلاء الشباب، لأن المسائل لم تنته حتـى الآن فمازالت هناك أراض لبنانية تحت الاحتلال، أعني مـزارع شبعا، ومازال لبنان في دائرة التهديد وبحاجة إلى جهوزيـة هؤلاء الشباب ليحرروا بقية الأرض وليـدافعوا عنـه فـي مواجهة هذه التهديدات.

ماذا سيفعل (حزب الله) بعد المقاومة هـل ينكفـئ إلـى الداخل اللبناني لرفع مطالـب وشـعارات إسـلامية أسـوة بالحركات الإسلامية الأخرى في العالم العربي؟ وهل يطالب بثمن لتضحياته أي بدور أكبر في الحياة السياسية اللبنانية؟

- بمعزل عن مستقبل المقاومة فإن حزب الله لـه حضـور سياسي كبيـر، وهـو يتبنـى قضـايا النـاس والفقـراء والمستضعفين والعمال والمناطق المحرومة، ويهـتم بكـل شاردة وواردة في الحياة السياسة، بالتأكيد في الفترة المقبلة سيكون له اهتمام كبير وحضور أكبر من ناحيـة أخـرى ونتيجة للنصر الذي تحقق، فمن الطبيعي أن يكـون لهـذه القوى التي صنعت هذا النصر دور وتأثير أهم في الحيـاة السياسية اللبنانية، وهذا ليس من قبيل الحصول على ثمـن وإنما من قبيل ممارسة الـدور الـذي يحتاجـه الـوطن والمجتمع اللبناني.

من صنع هذا الانتصار؟

- في الحقيقة لا تستطيع القول إن لهـذا الانتصـار صـاحبا واحدا أو ننسبه إلى جهة محددة و حدها، لأن ذلك سـيكون غير منصف وغير دقيق، هناك مجموعة عوامل أدت إلى

صنع هذا الانتصار، في طليعتها رأس الحربة المقاومة المسلحة لأن بقية العوامل تصنع في حال توافرها كلها صمودا في لبنان ولكن ليس مقاومة.. المقاومة المسلحة أدت إلى استنزاف قوات الاحتلال وعملائها أولاً على المستوى البشري أي إلحاق أكبر عدد ممكن من الخسائر البشرية بصفوف قوات الاحتلال والعملاء.. وثانيا الخسارة المعنوية التي لحقت بالاحتلال، وهي لا تقل أهمية عن الأولى عن لم تكن أهم، لأن قوة الجيش ترتبط بالدرجة الأولى بهيبته.. ما تعرض له الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان هو كسر لهذه الهيبة، وإسقاط لهذه الأسطورة إلى حد جعل صورة هذا الجيش في نظرنا مهينة وذليلة..

وهناك صمود الناس، واحتضانهم المقاومة سواء داخل الشريط الحدودي أم في خارجه، خصوصا سكان البلدات الواقعة على خطوط المواجهة الذين نعترف بفضلهم الكبير، فقد تعرضوا يوميا للقصف والغارات الجوية لكنهم صمدوا واحتضنوا المقاومة وتعاونوا معها، وأخلصوا لها وحافظوا عليها.. وكذلك الموقف الشعبي الذي كان يحتضن هذه المقاومة ويدعمها، ويساندها بالدماء والموقف الإعلامي

والمال، وبتقديم فلذات الأكباد، وكذلك مشاهد عائلات الشهداء واعتزازها بالتضحيات.. ثم الموقف الرسمي اللبنـاني مـع العهد الجديد والحكومة الجديدة وهو تطور كبير.. وهذا أكـد أن رهان المقاومة وطني وحقيقي وكامل، وهو مـا أسـقط الرهان الإسرائيلي الدائم على الفتنة والإيقـاع بـين الدولـة المقاومة..

وهناك سورية التي لا يستطيع أحد أن يتحدث عن النصر بمعزل عنها، لأنها ومنذ سنة ١٩٨٢ وقفـت إلـى جانـب المقاومة وساندتها وحمتها وتعرضت بسبب ذلـك لضـغوط كبيرة جدا كانت إحدى محطاتها الكبرى مؤتمر شرم الشـيخ وصولاً إلى التطورات الأخيرة.. سورية كانت دائمـا إلـى جانبنا وعندما أقول دعمت المقاومة وحمتها لا أقصـد فقـط إقليميا بل أيضا داخليا.. إن مساندة سورية للمقاومـة عامـل أساسي في هذا النصر، ومن أهم العوامل التي كانت سورية تقف وراءها موضوع السلم الأهلي والأمن والاستقرار فـي لبنان، وهو ما أعطى فرصة أكبر كـي يتوجـه المقـاتلون والمجاهدون ببنادقهم وعقولهم وقلوبهم إلى جبهة المواجهـة

مع المحتل.. فلو كانت الحرب الأهلية مشـتعلة لمـا كانـت عليه.. إذا هذا النصر لسورية أيضا..

وعندما نتحدث عن النصر يجب أن نتحدث أيضـا عـن الجمهورية الإسلامية في إيران، وهي وقفت منذ ١٩٨٢ إلى جانب المقاومة ودعمتها وساندتها وحمتها..

فحين نتحدث عن أصحاب لهذا النصر نتحـدث عـن المقاومة والشـعب اللبنـاني والدولـة اللبنانيـة وسـورية والجمهورية الإسلامية في إيران كلهم شركاء.. وأختم مـن حيث بدأت.. فرأس الحربة كامن يستنزف العـدو ويؤذيـه وينزل به الخسائر التي أدت إلى تكوين رأي عام إسـرائيلي ضاغط على حكومة العدو، إلى أن أصبح شعار الانسـحاب من لبنان شعارا انتخابيا، يمكن أن يستقطب أعدادا هائلة من الأصوات.. المقاومـة المسـلحة والمجاهـدون والشـهداء والأسرى والجرحى والمضحون المباشـرون الـذين كـانوا يقاتلون نيابة عن كل الشعب اللبناني وكـل العـرب وكـل المسلحين هؤلاء أصحاب النصر. طبعا حـين أتكلـم عـن المقاومة لا أتحدث عن "حزب الله" وحده بل عن كـل مـن قاتل.. نحن لا ندعي أننا وحدنا صناع هذا النصر وإن كنـا

نعتبر أن "حزب الله" ومقاومته هما من الصناع والأركان الأساسيين في إنجاز النصر..

هل استشهد في صفوف "حزب الله" مقاتلون غير لبنانيين؟

- لا أذكر ذلك..

استفادت المقاومة من التفاف وطني واسع حولها.. هل تعتقد بأن "حزب الله" يملك التفويض اللازم والدعم نفسه للاستمرار في القتال من أجل مزارع شبعا؟.. علما أن إسرائيل ستكون أكثر قدرة على الإيذاء بعدما سحبت قواتها من جنوب لبنان؟

- أسمع لبنانيين يتحدثون عن موضوع السيادة ومسألة إبطال الإجماع الوطني حول المقاومة.. حين يبقى شبر تحت الاحتلال فهذا يعني أن السيادة منقوصة.. وعندما تكون هناك أرض لبنانية محتلة لا مبرر لتراجع الإجماع.. ثم أقول إن المقاومة حين انطلقت لم يكن هناك إجماع وطني حولها خصوصا في ١٩٨٢ إذ كانت هناك حرب أهلية ونزاعات داخلية عميقة جدا.. الواقع أن الإجماع الوطني توافر في

السنوات الأخيرة ولجزء منه علاقة بإثبات المقاومة جـدواها وبأداء "حزب الله" السياسي وانفتاحه على القوى الأخرى..

هذا الموضوع معقد.. بالنسبة إلينا الإجماع الوطني أمر نحبه ونعتبره عنصر قوة أساسيا، ولكن ليس سببا لا لقيام المقاومة ولا لاستمرارها. قد يراهن أحدهم على أصوات في الـداخل تخالف استمرار المقاومة.. هل سـيؤدي ذلـك إلـى وقـف المقاومة؟

الجواب هو لا.. بالنسبة إلى المقاومة هناك قضية واضـحة وحاسمة قاتلت من أجلها، وكانت قلة وغريبة إلـى أن جـاء وقت وأصبح حولها التفاف وطني كبير.. قد يكون هناك من يخالف أو لا يوافق على استمرار المقاومة ستصبح معزولـة شعبيا ووطنيا وسياسيا..

من أين ستقاتل المقاومة لتحرير مزارع شـبعا فـي حـال انتشار القوة الدولية في المنـاطق التـي انسـحبت منهـا إسرائيل؟

- هذه مشكلة ميدانية فنية وحلها سهل على المقاومة..

ومن سيتحمل المسئولية إذا نفذ باراك تهديداته وأحلق أذى فادحا بلبنان بسبب عملية للمقاومة من أجل تحرير مـزارع شبعا؟

- السؤال هو: ما هي خيارات لبنان حين يعتبر أن هذه أرض لبنانية محتلة؟ هنا نعود إلى أسئلة العام ١٩٨٢ نفسها.. في عام ١٩٨٢ حين كان احتلال الإسرائيلي موجـودا كانـت الأرض أوسع. وأذكر حين اقتحم الشهيد أحمد قصير مقـر الحاكم العسكري الإسـرائيلي فـي صـور فـي عمليـة استشهادية، تحدث الإسرائيليون عـن مقتـل ٨٥ جنـديا، وأعلن مناحم بيجين الحداد ثلاثة أيام، أطلق يومها كلامـا بأن إسرائيل ستدمر لبنان لأنها لا تحتمل خسارة من هـذا النوع وأن خيار المقاومة خيار مكلف ومجهـد ومتعـب.. الأسئلة نفسها ستطرح الآن.. هل تتصور أن يأتي بـاراك

بهذه البساطة ويدمر ويفعل ما يشاء في البلد، أبهذا القـدر الخيارات أمامنا مقفلة؟ لا ليس كذلك..

لكن الظروف مختلفة.. هناك فارق بـين الاحـتلال لمعظـم الأراضي اللبنانية وما قالته إسرائيل بأنهـا تريـد تطبيـق القرار الدولي رقم ٤٢٥، بغـض النظـر عـن احتقارهـا للقرارات الدولية، ألن تكون المعركة صعبة؟

- لا شك في ذلك.. أنا لا أنفي صعوبة المعركة.. أصـلاً أي معركة تحرير صعبة.. ألم تكن المقاومـة فـي السـنوات الماضية صعبة؟ لكنه من الواضح ، متى بـدأنا نشـعر أن هناك موقفًا عربيا رسميا متفهما وبعضه مؤيد؟ متى بـدأنا نسمع كلمة طيبة؟ في السنتين الأخيرتين.. وتحديـدا بعـد مجزرة "قانا".. ما هو عمر هـذه السـنوات مـن تـاريخ المقاومة؟ لبنان كان وحيدا منذ العام ١٩٨٢ إلى مـا قبـل نحو ثلاث سنوات أو أربع، ويتعرض للقصـف والـدمار والخراب وأرضه محتلة.. أسـأل بطريقـة أخـرى: لـو افترضنا أن الإسرائيلي خرج من كل الجنوب وبقـي فـي "الناقورة" لا في مزارع شعبا، التي لا نقاش بلبنانيتها، هل نسكت نحن كمقاومة وشعب لبنان ودولته على بقاء قـوات

الاحتلال في الناقورة بحجة أن الإسرائيلي انسحب؟ ومـن يتحمل الآن مسؤولية الخراب والدمار؟ مـا الفـرق بـين مزارع شعبا والناقورة بالنسبة إلينا كلبنانيين؟ قد يكون هناك فارق من وجهة نظر الآخرين، أما من وجهة نظرنا فهـذه أرضنا..

هناك انطباع بأن موضوع مزارع شبعا على رغم لبنانيتهـا قد يكون المبرر لاستمرار ربط لبنان بما تبقى مـن الشـق العسكري من النزاع مع إسرائيل، وورقة فـي المواجهـة الإسرائيلية – السورية..

- اقتراحي هو انسحاب إسرائيل من مزارع شبعا أيضـا.. لا أعتقد بأن أحدا تبقى لديه حجة بهذه الحيثية، عندما نقول لم تعد هناك أرض لبنانية محتلة.. والأمـور فـي الاعتبـار اللبناني أصبحت واضحة، وعندها إذا أراد أحد أن يقاتـل إسرائيل لن يقاتلها بالاعتبار اللبناني بـل سـيتحدث بلغـة ثانية، موضوع فلسطين أو غيره، يقاتل أو لا يقاتل.. تذهب الأمور إلى مكان آخر لكن في الموضوع اللبناني إذا كانوا يعتبرون هذه النقطة كذلك، أنا أقول بسيطة.. فمن خرج من كل جنوب لبنان يمكنه أن يخرج من مزارع شبعا..

نحن اللبنانيين نقول إنها أرض لبنانية، وسورية تقول هذه ليست أرضا سورية بل لبنانية. والحمد لله أن مزارع شـبعا ليست على حدود فلسطين ليأتي أبـو عمـار ويقـول إنهـا فلسطينية.. هذه نحن مرتـاحون منهـا. ولبنـان وسـورية يتفاهمان.. الحل الأفضل إذا كان هذا الموضوع بهذا القـدر يحدث عقدة في مسألة الانسحاب الإسرائيلي ويربك مجلـس الأمن الدولي والأمم المتحدة ليخرجوا منها.. وعندما تقـف حكومة العدو الإسرائيلي وتقـول: هـل هنـاك شـبر مـن الأراضي اللبنانية احتلها؟ فيقول لبنان: لا.. وبذلك يكون هذا الموضوع منتهيا..

هناك من يقول إن خروج إسرائيل الكامل من الأراضـي اللبنانية سيفقد سورية ورقة الضغط الرئيسية في مفاوضاته مع إسرائيل؟

- في النهاية بالنسبة إلى الإخوة السوريين.. صـحيح أنهـم مشوا في مسار لكن ثمة نقطة أساسية لديهم وهي أن الحل الذي يبحثون عنه يضمن لهم الحصول على كامل الأرض وكذلك حقهم في المياه وبسيادتهم. أما أن المقاومة كانـت عاملاً مساعدا فلا شك في ذلك.. من جملة الأسباب التـي

كانت دائما تدفع الإسرائيليين إلى طلب ود سورية والدولة اللبنانية أنها تريد ضمانات أمنية لها علاقة بشمالها.. الآن الإسرائيليون ينسحبون، ولكن لا ضمانات أمنية لديهم لا من لبنان ولا من سورية، ولا يزال انسحابهم تحت عنوان المغامرة.. هناك نقاش وسط المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، الانسحاب إذا كان كاملاً يعني أن واحدا من المواضيع التي كانت دائما من الدوافع للحديث والتفاوض تراجعت نسبة أهميته بدرجة كبيرة دائما من الدوافع للحديث والتفاوض.. لا أقول انتهى لأن أحدا لم يعط ضمانات أمنية، ولا أحد يعرف ماذا سيحصل على الحدود ولا لبنان في جو إرسال جيشه ونشره على الحدود ولو في المرحلة الأولى.. ممكن أن يحصل على أي شيء على الحدود من أي أحد.. لا أحد منا نحن اللبنانيين سيعمل حرس حدود.. وبالتالي ثمة مشكلة ستبقى قائمة.. حساسية هذا الموضوع تراجعت بدرجة كبيرة لكنها لم تنته.. على كل حال بالنسبة إلى الإخوة السوريين أظن أن نقاط قوة مهمة مازالت لديهم.. ووحدة المسارين مازالت قائمة لأن

لبنان لن يوقع صلحا ولا اتفاق سلام مع إسرائيل إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق سلام مع سورية كحكومات..

السلام الذي يتحدثون عنه، تسوية شاملة في المنطقـة لا يمكن أن تحصل من دون لبنان وسورية والوضع الفلسطيني أموره واضحة، وهو يتجه تدريجيا نحو الانفجار في شكل أو آخر، لأن الآن وقعت ساعة الحقيقة أن نكذب علـى النـاس بأننا نتفاوض ونبحث، هذه تسع سنوات مرت وماذا بعد؟ ففي النهاية لإسرائيل وللولايات المتحدة مصلحة كاملة في إنجـاز مشروع التسوية في المنطقة لأنه حتى هذه اللحظة يتم إنجازه بشروط إسرائيل وليس بشروط عربية، مصلحتهم أن يكلموا في هذا الاتجاه هذه نقطة الحاجة الأمريكية – الإسرائيلية ولا يمكن أن تتحقق من دون استرضاء سورية والصـلح معهـا ومع لبنان لاحقًا، وبالتالي القول بأن سورية والصلح معهـا ومع لبنان لاحقًا، وبالتالي القول بأن سـورية فقـدت أهـم أوراقها لا.. نعم أحد العوامل الأساسية التي كانت مسـاعدة يمكننا أن نقول أن أهميته تراجعت.

قيل ربما يذهب الفلسطينيون وينفـذون عمليـات، وأي شخص في البلد يعرف أن المخيمات مطوقة أمنيا وأن هـذا تهديد بورقة غير مقبولة، هل يطلق (حزب الله) النار علـى إسرائيل بعد انسحابها، لأسباب فلسطينية؟

- بما فيها مزارع شبعا.

بما فيها مزارع شبعا، بما فيها أي شيء يقول لبنان أنه أرضه. هل يطلق (حزب الله) النار على إسـرائيل لأسـباب فلسطينية؟

- هذا لم يحن أوانه. هل يطلق (حزب الله) النـار أم لا، وإذا كان سيطلق النار ما هي حيثياته واعتباراته ودوافعه، هـذه كلها تُبحث لاحقًا.

لنفترض أن إسرائيل انسحبت من كل الأراضي اللبنانيـة بما فيها مزارع شبعا.. مـا مصـير أسـلحة (حـزب الله) وتركيبته الأمنية؟

.. لنقل أن دور المقاومة انتهى وعاد القول أن (حـزب الله) تنظيم شيعي، ولبنان بلد متعدد بتركيبته، ووجود سلاح كثيف وخبرات قتالية وتركيبة أمنيـة لـدى طـرف تثيـر

المخاوف، ما هو مستقبل سلاح (حزب الله) بعـد انسـحاب إسرائيلي كامل من جنوب لبنان؟

- - هناك صورتان: مرة هناك انسحاب، كما هي الحال الآن ومرة هناك عملية تسوية في المنطقـة.. القـائم الآن هـو الصورة الأولى (الانسحاب) وطالما أن هـذا الانسـحاب حصل من دون توافق مع لبنان وسورية أتحدث كتفصـيل سياسي ولا أعطي رأيي بأنه يجب أن يكون هناك توافق..

أولاً انسحاب تحت غطاء التهديد اليـومي أي إذا حصـل شيء نقصف ونفعل.. حصل الانسحاب الكامل بما فيه مـن مزارع شبعا، سأفترض فرضية أن (حزب الله) لن يفعل شيئًا وأن العنصر الفلسطيني عولجت مشكلته أو ضـرب بشـكل حديدي وهذا غير متيسر الآن وأصبحت هناك حدود هادئة – أيضا فرضية - إذا كان الإسرائيلي راسما مشـروعا ورأى أن المفاوضات مع سورية لا تتزحزح، ولديه ترتيب معين له علاقة بالمنطقة، من الذي يضمن أن لا يرمي متعامـل مـع إسرائيل شيئًا إلى الداخل، شمال فلسطين المحتلـة وتسـتغل إسرائيل الحادث وتعتدى على لبنان وأذكر في اجتياح ١٩٨٢ كانت الحدود هادئة، وكان هناك اتفاق هدنـة بـين منظمـة

التحرير الفلسطينية وإسرائيل، ولم تكن تُطلق طلقة نـار أو صاروخ كاتيوشا أو عملية عسكرية، لقـد جـرت محاولـة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن وهو لا يزال حيـا إلـى الآن، فقامت إسرائيل باجتياح لبنان سـنة ١٩٨٢، ودخلـت العاصمة بيروت، هذا يعني أن لبنان مهدد في شكل يـومي باعتداء إسرائيلي قد يحصل في لحظة يكـون فيهـا النـاس نائمين، ويحصل شيء في بلد مـن بلـدان العـالم وتحمـل إسرائيل لبنان المسؤولية وتعتدي عليه.

ولبنان في ذلك الوقت يجب أن يدافع عن نفسـه، وفـي الدفاع عن نفسه يجب أن يستفيد من كل القـوى المتـوافرة لديه، وفي طليعتها المقاومة أي أريد أن أقول أنه طالما لبنان في دائرة التهديد الإسرائيلي اليومي يجب أن يحتفظ بالمقاومة ويجب أن يحافظ على جهوزية المقاومـة وعلـى سـلاحها للتمكن من مواجهة هذا الخطر، وبالنسـبة إلـى الموضـوع الطائفي هناك السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال، ويمكننـا أن نجهز مقاومة من كل الطوائف، لتكون مستعدة لمواجهة خطر من هذا النوع.

هل مستقبل سلاح (حزب الله) لـه علاقـة بالانسـحاب الكامل، أم بالتسوية أم بزوال التهديدات...؟

- بحد أدنى اسمه لبنان في دائرة التهديدات طالمـا إسـرائيل تهدد لبنان كل يوم بالضرب والاعتداء والعقاب والحساب، من حق لبنان أن يحتفظ بكل عناصر القوة التي يمكـن أن تواجه هذه التهديدات الإسرائيلية.
- **هناك من يتهم (حزب الله) بأنه يتحمل مسـؤولية إسـقاط بيريز؟**
- هو أسقط نفسه، وليس نحن من أسـقطه، وجيـد إذا كنـا أسقطناه نحن نفتخر بذلك.

هذا يعني أن (حزب الله) قد يحرك الجبهة لأسباب إقليمية؟

- كل شيء ممكن في التحليل النظري تستطيع أن تقول مـا تريده نظريا. نظريا كل شيء ممكن لكن عمليـا، يمكـن إجراء محاكمة لأداء المقاومة الإسلامية منذ بدايتها في عام ١٩٨٢ إلى هذه اللحظة.. ثمة ظروف كثيرة مرت عليهـا ولو كانت تعمل حسابات إقليمية خارج هـذا المشـروع، لكانت كل يوم تقدر أن تهز المنطقة المحتلة، كل يوم.. إنها لا تفعل ولم تفعل ذلك حتى في أشد لحظات الغضب.

سورية تقول إن الباب غير مقفل، هـل تعتقـد أن ثمـة إمكانية لاستئناف المفاوضات السورية – الإسـرائيلية فـي الأسابيع المقبلة؟

• الاحتمال قائم وإن كانت نسبته ضئيلة.

هناك تصور أن السلام آتٍ ولو تأخر سـنة أو اثنتـين.. ماذا سيكون شعورك حين يرتفع العلـم الإسـرائيلي فـوق سفارة إسرائيل في بيروت، ماذا ستقول لـ (حـزب الله) وللشهداء ولعائلاتهم؟

• في الشق الأول لدى نقاش.. قد يحصل اتفاق يـوم ذهبـت الوفود إلى مدريد كان لنا موقف نتيجة لخلفيتنا العقائديـة، من مجمل عملية التسوية، لكن حتى في الإطار الـوطني، إذا أردنا أن نتحدث سياسيا بمعزل عن الخلفيـة العقائديـة وقتها قلنا مع غيرنا إذا أراد العالم الذهاب إلى مدريد مـاذا سيذهب لبنان ليفعل وليس لديه شيء وكان الدولة اللبنانيـة تقول بتنفيذ القرار ٤٢٥، إذا أردنا التحدث لبنانيـا نحـن يكفينا تنفيذ الـ ٤٢٥ وماذا سنفاوض؟ يـوم ذهبـوا إلـى مدريد كان يقال إن الأمور ستنتهي في ثلاثة أشهر وأن كل

شيء مرتب خلف الكواليس، وأن الأمر يتعلق بقليـل مـن المخارج والسيناريوهات والتمثيليات من أجل تهيئة الـرأي العام.. الآن نحن فـي العـام ٢٠٠٠، الموضـوع لـيس بالبساطة التي يتم تناوله فيها أحيانًا، والقول إن هناك إرادة أمريكية، صحيح نحن لا نستهين بقوة تأثير أمريكـا فـي الأحداث لكن أمريكا ليست إلها تقول للشيء كن فيكـون، وحتى الآن إذا أريد تسجيل فشل سياسة أمريكا في كثيـر من المناطق في العالم يمكن الحصول على نماذج كثيـرة.. من هنا نحن تقديرنا أن الأمور لا تتجه في هـذا الاتجـاه الإسرائيلي ليس حاضرا لتسوية يقدم فيها بعـض الحقـوق المقنعة.. إنه يسعى إلى تسوية بشروطه وليس كل العـرب يقبلون بتسوية مع إسرائيل بشروط إسرائيلية وفي مقدمتهم سورية، وقبل قليل أشرت إلى الموضوع الفلسطيني، وهـو أساس كل الصراع في المنطقة، حتى ولو جرى صلح مـع سورية ولبنان، والموضوع الفلسطيني لم يحل، فمعنى ذلك أن التسوية غير قائمة، وأن الصراع في المنطقة مسـتمر، أنا من الذين يعتبرون أن الموضوع الفلسطيني لا إمكـان لمعالجته بالطريقة التي تدار بها الأمور الآن ربما (الرئيس

الفلسطيني) ياسر عرفات أو بعض النـاس فـي منظمـة التحرير يقول في يوم من الأيام للناس إن القـدس ذهبـت وانتهى الأمر، نحن نعرف الشعب الفلسطيني جيدا ونعرف شبابه، هذا موضوع لا يسكت عنه ولا يترك.. لـيس فـي هذه البساطة يقرر عرفات أن يقنع الشعب الفلسطيني بعدم وجود حل لأربعة ملايين فلسطيني في الشتات، في الوقـت الذي سيستقبل فيه باراك المهاجر الرقم مليون من الاتحـاد السوفييتي السابق، ويعلن استعداد إسرائيل لاستقبال مليون مهاجر يهودي آخر هنـا.. نحـن نفتـرض أن الشـعب الفلسطيني مات ولم تعد هناك حياة ولا إرادة ولا إيمان ولا عقيدة ولا شهامة ولا رجولة في الشعب الفلسطيني أي أنه استسلم.. في هذا الشعب الذي قاوم خمسين عامـا أنـاس تعبوا وقيادات تعبت والقيادة التي تعبت يمكنها أن ترتـاح، ولكن بالأمس كان هناك شاهدان على التليفزيـون الشـبان الذين نزلوا إلى الأرض ورشقوا بالحجارة جنودا مسلحين، خصوصا أن رصاصة المطاط إذا أصابت القلب تقتل وإذا أصابت العين تعمي، هذا الجيل من الشباب يضحي، ولـم يتعب في كل الظروف القاسية والصعبة.

أعتقد والأيام ستثبت ذلك أولاً أن الأمور لا تتجه على هذا النحو، وإذا حصلت هذه الفرضية فنحن نعمل تحت عنـوان معركة لا تقل أهمية عن معركة القتال المسلح، وهي معركة التطبيع، ومواجهة التطبيع مع العدو الإسرائيلي.

قبل مدة قرأت عن مؤتمر لمواجهة التطبيع في الكويـت، تشكلت له هيئات في كل دول الخليج واليمن ومصر والأردن ولبنان، وسيبذل جهد كبير في مواجهة التطبيع.. وأعتقد، كما حدثت المقاومة المسلحة، أو جمدت مشروع إسرائيل الكبرى الممتدة عسكريا وجغرافيا إذا استطعنا إنجاز مشروع مقاومة التطبيع كاملاً وكبيرا فإنه سيحد من مشروع إسرائيل العظمى وهذا لا يقل أهمية.

أما ماذا سأقول لعائلات شهدائنا وقواعدنا فأقول لعـائلات شهدائنا وقواعدنا،: أولاً هـؤلاء الشـهداء أنجـزوا عمليـة التحرير وهذا لا نقاش فيه، وهو موضع اعتزاز كل عوائـل الشهداء الذين يشاركون في إنجاز هذا النصر الذي تحقـق.. وحين يأتي يوم تُصالح فيه الدول اللبنانية إسرائيل ويرفع علم على سفارة بالطبع، ليس أنا من صـالح إسـرائيل، سـأقول لقواعدي هذا جزء من المعركة نحن حررنا أرضا واليوم ثمة

عملية تطبيع وعلينا مواجهتها هذا الموضوع لن يخصني أنا وحدي وهناك الكثير الكثير مـن الأحـزاب والشخصـيات والفعاليات الموجودة في العالم العربي لديها استعداد لمقاومة هذا الأمر، هذا سيكون جزءا من مواجهة الموقـف، نحـن موجودون في المجلس النيابي والشارع وسـاحات مختلفـة وسنبذل جهدنا كي لا يكون هناك تطبيع بين لبنان وإسرائيل.

بعد الإنجـاز العظـيم للمقاومـة الإسـلامية بالجنوب اللبناني:

سماحة السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله يصرح للمختار الإسلامي:

بالمقاومة يتهاوى المشروع الصـهيوني مـن الداخل

- واجهتنا مشكلات عصبية في بداية جهادنـا ولكـن مهمـة الفلسطينيين أسهل!!
- عملياتنا المسلحة لن تتوقف ضد إسرائيل طالما ظل شـبر من أرضنا مغتصبا
- لن نصمت أمام تهديدات أمريكا بنقل سفارتها للقدس وسـنعيد الدبلوماسيين إلى واشنطن في نعوش.

الإنجاز العظيم الذي حققته المقاومة الإسلامية لحزب الله ضد قوات الاحتلال الصهيوني وتحرير الجنوب اللبناني بعد ٢٢ عاما من النضال والمقاومة الاستشهادية، كان مثار العديد من التساؤلات على الساحتين العربي والعالمية. كيف بدأت هذه المقاومة، وما هي الصعوبات والمعوقات التي واجهتها في بدايتها؟

وهل يمكن أن يتكرر نموذج حزب الله على الساحة الفلسطينية؟

وما هو مستقبل المقاومة على الساحتين السياسية والنضالية في لبنان وخارجها بعد هذا النصر الساحق؟

وكيف سيكون شكل العلاقة بين الحزب والدولة خلال المرحلة المقبلة؟

وهل سيقاتل الحزب دفاعا عن سوريا وفلسطين؟.. وما دوره في منع اشتعال الفتنة الطائفية من جديد في لبنان؟

ولماذا طالب بضرورة إنزال أقصى العقاب على العملاء رغم وجود أكثريتهم من الشيعة؟

وما هي رؤية حزب الله للوجود السوري في لبنان؟. وكيف سيواجه التطبيع مع إسرائيل في المرحلة القادمة؟

هذه التساؤلات وغيرها من القضـايا الأخـرى المهمـة وجهناها إلى سماحة السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في حوار خاص بالمختار الإسلامي من داخل بيـروت. وجاءت إجاباته عليها كالتالي:

بداية: ما هو توصيفكم العام للمقاومة الإسـلامية منـذ بداياتها والصعوبات التي واجهتكم خلال تلك الفترة؟ وهـل يمكن تطبيق هذا النموذج على فلسطين الآن؟!

ما حصل في لبنان كان على سبيل السهل الممتنع.. وهل لدينا إيمان بما نقول وما نفعل أم لا؟ ويجب الإقرار بـذلك، فقضية المقاومة في لبنان هي قضية إيمان وثقة وقضية نفسية في الوقت نفسه.. لأنه في سنة ١٩٨٢ وفي مثل هذه الأيـام بالتحديد أكثر من مئة ألف جندي إسرائيلي اندفع في اتجـاه لبنان وخلال أيام قليلة كانوا على بوابة بيروت، وكما أقول لم تحصل مقاومة في ذلك الوقت، لأنه لو حصـلت المقاومـة لتحولت لبنان إلى مقبرة جماعية.. ثم جاءت قوات متعـددة الجنسيات لحماية الاحتلال، وللأسف الشـديد كـان نتيجـة للصراعات الداخلية في لبنان أن بعـض القـوى السياسـية أصبحت متعاونة مع الاحتلال. المقاومة الإسلامية انطلقـت

في جو واستهجان من الكثيرين، وكان عمري في ذلك الوقت لم يجاوز الثانية والعشرين، وأذكر في تلك الأيام بعد مقابلتي لرجال مؤمنين يقرأون القرآن ويستشهدون بآيـات الله عـز وجل، كانوا يقولون لي أنتم مجـانين، شـباب مـتحمس لا تقدرون عاقبة ما سيحدث لكم، الاتهام العام الآخر هو اتهـام بالجنون، لأننا إذا حكينا بمنطق العقل فهو يقول إننا مجانين، وإذا حكينا بمنطق الدين فهو يقول أنتم ترمون بأنفسكم إلـى التهلكة، وما تفعلونه حرام وهو جريمة بمعنى أنه بالمقـاييس الدنيوية والدينية هو جنون ومحرم). لكن يرجع الفضل فـي بداية المقاومة الإسلامية بلبنان بهـذا الشـكل إلـى الإمـام الخميني، لأنه قال لنا: لبنان وضعه الـداخلي صـعب جـدا بسبب الحرب الأهلية، لكنكم أنتم الشباب يجـب أن تقـاتلوا الاحتلال، وإذا كان هدفكم الـدنيا فلابـد أن تقـاتلوا جـيش الاحتلال، وإذا كان هدفكم الآخرة فلابـد أن تقـاتلوا جـيش الاحتلال، وبالعقل والمنطق والدين وبـالأخلاق وبالوطنيـة وبالقومية، ولقد تبين لنا وبكل المقاييس والمعايير أن الموقف الصحيح هو خيار المقاومة والقتال.. أول شيء نحن اهتدينا إلى الطريق وهو القتال والمقاومة، لأننا درسـنا خياراتنـا:

ننظر إلى الجامعة العربية وماذا ستفعل؟ ننظر إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، إلى مؤتمر عدم الانحياز إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة والمؤسسات الدولية، وجدنا أن ما سيحدث في لبنان هو نفس ما حدث في بقية الدول العربية، والشيء الآخر الذي كان مؤثرا بشدة هو أننا بدأنا نقاتل منذ اليوم الأول، وكنا واثقين من النصر رغم وجود كل هذه القوات الإسرائيلية على أرض لبنان ومن خلفهم الأسرة الدولية التي تساندهم بقوة من أجل التمكين لهم من احتلال أراضينا، ورغم التدمير وضرب البنية التحتية للبنان وتقديم الشهداء الواحد تلو الآخر كنا نرى النصر صوب أعيننا، وكان هناك يقين لدينا جميعا من الرسالة ومن هذا الدين بأن النصر قادم لا محالة، مثلما نعرف أن الله خلقنا وأن عنده جنة ونار، وأنه يحاسب كان لدينا يقين بأنه ﴿إِن تَنْصروا اللهَ ينْصركُم ويثَبتْ أَقْدامكُم﴾ وفي سبيل ذلك كنا نبذل أقصى الجهد للوصول إلى هذا الهدف.

حسن نصر الله

العنوان الثاني:

هو أن هذا العدو وضع مشروعه الاستيطاني الغاصب لأرضنا، وأنه لا سبيل للتصدي له سوى بالقتال والمقاومة، ووثقنا بوعد الله عز وجل، ولكن بشرط أن تكون هذه المقاومة مقاومة جدية وقادرة، وشريطة أن يكون كل شيء في خدمتها، خلافًا لكل نظريات منظمة التحرير أو أية أحزاب أخرى اشتغلت بالمقاومة ضد الاحتلال الصيهوني لأراضيها، فكان لدينا العمل السياسي في خدمة العمل العسكري، أما الآخرون فكانوا يقومون بأي عملية عسكرية من أجل تحقيق مكسب سياسي إنما نحن اعتبرنا أنفسنا رجالاً في خدمة الجهاد والقتال والمقاومة، والعمل السياسي والعمل الإعلامي لابد أن يكون في خدمة المقاومة، وحيوية الشعب أيضا لابد أن تكون في خدمتهم، وكذلك الإعلام والمال والعاطفة والعلاقات والحركة السياسية الداخلية. وأية مكاسب سياسية تتحقق لابد أن تكون في خدمة المقاومة.. لذلك خلال السنوات الماضية كنا نشتغل بهذه الأولوية، وكنا حريصين على أن أي قتال داخلي، أي نزاع داخلي أي شقاق داخلي – فكري أو سياسي- نخرج منه ولا ندخل فيه، وإذا أدخلنا فيه

نخرج منه بسرعة، ولم نكن مرغمين ولا مجـرورين لهـذه المعركة – رغم المحاولات الكثيرة طوال السنوات الماضية كي نجر إلى معارك جانبية ليس لهـا معنـى – طالمـا أن المقاومة هي أولويتنا.. شبابنا ومالنا وحالنا وتعبنا وكل مـا نملك كان للمقاومة، ومع ذلك لم يكن لدينا موظف واحد فـي الدولة حتى لا نحملها أية أعباء جديدة على أعبائها لأنه كان الواجب علينا أن نساعد الدولة في حل مشاكلها وليس تحميلها أعباء إضافية.. وكنا نعتبر أن هذه المسيرة بكل مؤسسـاتها وأجهزتها هي في خدمة هذه المعركة.. في نفس الوقت كان علينا أن نجعل هذه المقاومة مقاومة جدية، قتالاً دائما وقتـالاً يوميا وأشهد بأن حزب الله وقادته وكوادره الشـابة تحملـوا معنا الكثير من إهانات وخيانات ومصاعب كبيرة، وضـحوا كثيرا.. وعائلات عديدة كانوا يضحون بأولادهم ويأتون بهم إلى ساحة المقاومة ليقاتلوا معنا، لذلك كانت المقاومة حقيقية وجدية: بروحانيتها وقدسيتها وقيمتهـا الأخلاقيـة، بأمانيهـا وطموحاتها..

هذه المقاومة التي تبدو مختلفة عن كل أشـكال المقاومـة العسكرية. وبتعبير واحد أقول إن مقاتلي هذه المقاومـة لـم

يكونوا يريدون من هذه الدنيا أي شـيء، ولا منصـب ولا وظيفة ولا مالاً ولا أي شيء..

هؤلاء كانوا يقاتلون في سبيل الله، وكانوا يقولـون هـذه المعركة مشروعة إذا قُتلت فيها أدخل الجنة.. فعندما نلتـزم بكل هذا فإن الله سبحانه وتعالى وعدنا بالنصر حيث يقول:

﴿ **لَنَهدِينهم سبلَنَا وإن اللهَ لَمع الْمحسِنين**﴾ والحقيقـة أن العناية الإلهية كانت مع هؤلاء كانت مع هـؤلاء المقـاومين تحرسهم وترعاهم، فنحن لم نكن سوى مجموعـة أشـخاص باعوا أنفسهم لله، ولذلك نقول إن الله هو الذي حرر الجنوب، وما كنا إلا عوامل وأسبابا ونتائج.. هذه هي حقيقة المقاومـة الإسلامية في حزب الله، وما حدث في لبنان ليس حدثًا عاديا ولا استثناء ولا معجزة، هذه هي القاعدة والأصل، هذا هـو القانون الطبيعي.. فمن خلال الاسـتجابة للشـروط حـدثت النتائج، هذا شيء طبيعي.. فنحن خلال خمسين سنة لم نكـن ننتظر شيئًا.. من هنا نقول إن إسرائيل بدأت تفاجـأ بقتـال حقيقي على أرض لبنان..

وإذا طبقنا ذلك على فلسطين نقول: إنه لو حدثت بعـض الاستجابة للشعب في الداخل لتحقـق للفلسـطينيين النصـر

عليهم، فإذا كانت إسرائيل تُهزم في جنوب لبنان، فبطريـق أولي تُهزم في الداخل، لأنها في داخل فلسطين أضعف منهـا في جنوب لبنان، لأن هناك المعركة في عقر دارها، المعركة في جنوب لبنان كانت على الشُرفة لكن في فلسـطين داخـل الدار، وأنا في ذلك لا أحكي بحماس ولا ارفـع معنويـات، وإنما أقول إن الانتصار للشعوب.. وقد قلت هذا في مخـيم اليرموك للفلسطينيين، وقلت لهم إن شعبكم لو تخلى عنه كل العرب – حكومات وشعوبا - ولو تخلى عنكم كل العالم، فأنا على يقين بأنه قادر على تحرير كل أرضه منذ عـام ١٩٦٧ وليس القطاع، وأن يستعيد فلسطين من البحر إلى النهر، وهو وحده القادر على ذلك عن طريق بعض العمليات الاستشهادية في الأراضي الفلسطينية المحتلة على أيدي حماس والجهـاد الإسلامي، بعض اليهود خرجوا في التليفزيون ليعلنوا أنهـم جاءوا إلى (المكان الخطأ) واحتاجت إسرائيل إلـى مـؤتمر عالمي في شرم الشيخ لوقف مثل هذه العمليات مجددا..

لماذا هم يخافون من نموذج حزب الله أن يتم تعميمه وأن تكون فلسطين بنفس المصير؟ لأن غايـة مـا تهـددني بـه (الموت) هو غاية الآمال، وأعظم شيء هو أن أقتل في سبيل

تحرير هذه الأرض. لذلك يجب على الشعب الفلسـطيني إذا كان يريد المقاومة أن تكون المقاومة في فلسطين في خدمـة التحرير وليس في خدمة العمل السياسي، وأن يكون الأخيـر في خدمتها، ومنظمة التحرير في خدمتها، والفصـائل فـي خدمتها، والزعامات في خدمتها.. مقاومة القادة يستشـهدون فيها وأبناء القادة يستشهدون فيها مقاومة لابد أن يكون المال في خدمتها، وليس العمليات ذريعة كي نجمـع المـال مـن الناس. مقاومة جادة من هذا النوع، لابد أن تحقق النصر في النهاية.

وكيف كان الإعلام في خدمة المقاومة بالجنوب اللبناني؟

- نحن في الإعلام لم نقم بتمثيليات، إنما اقتحمنا مواقع حقيقية وبعدها قمنا بتصويرها، وقمنا بتصوير الجنود الإسرائيليين وهم يغادرونها مثل الأطفال الصغار، وحضرنا المشهد كي يراه العرب، وعندما صورنا للعالم بعض المقـاتلين فـي حزب الله وهم يفجرون أنفسهم في المواقع الإسرائيلية لـم يكن تمثيلاً وإنما كان حقيقة.. ورغم أننا الذين صورنا هذا فقد كنا نبكي عندما نراه ثانية، فكيف الحال بالنسبة للنـاس العاديين؟!.

ما هو مستقبل المقاومة الإسلامية في لبنان بعد انسحاب إسرائيل من الجنوب المحتل؟

- فيما يتعلق بمستقبل المقاومة الإسلامية بلبنـان، أقـول إن هناك مجموعة من العناوين لم تتم الإجابة عليهـا، فهنـاك جزء من لبنان مازال تحت الاحتلال مثل منطقة مـزارع شبعا وغيرها، ونحن بمعزل عن موقعنا الفكري والعقائدي الذي يرى في الكيان الصهيوني وجودا غير شرعي فإننا لا نتسامح في ذرة أرض من ترابنا.

العنوان الثاني هـو المعتقلـون اللبنـانيون فـي السـجون الإسرائيلية، فكيف تكون الأمور قـد انتهـت وأعـيش مـع زوجتي وأولادي وهؤلاء بعيدون عن عائلاتهم وأرضهم.

العنوان الثالث وهو الأهم

لبنان هو البداية والتكتيك الذي يعول عليه كل شيء مـن رئيس حكومة العدو إلى رئيس أركان حـرب العـدو إلـى الوزراء إلى غيره وهذا التعويل ليس حربـا نفسـية، هـذا التعويل تحقيق لأفكار إسرائيلية مستقبلية، حيـث لا توجـد ضمانات للبنان ولم يقدم أحد هذه الضمانات، فيبـدو أن مـا

أقوله الآن قد يكون ضمانًا وليس أكيدا: أن يتحـول الشـعب اللبناني والجيش والمقاومة في لبنان إلى حرس حدود، علـى حدود لبنان مع الأرض المحتلة، وأن ندخل إلـى فلسـطين ونشتغل جواسيس عند الصهاينة، وأن نقدم لهم معلومات عن أي فلسطيني يفكر في تنفيذ أية عملية ضد القوات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.. هذا قد يجعلهم يرضـون عنا ولا يفعلوا شيئًا ضدنا، وهذا لا يكون أبدا.

وللتـدليل علـى الـذرائع الواهيـة التـي سيسـتخدمها الإسرائيليون لضرب لبنان مستقبلاً، أنه فيما مضى حدث أن السفير الإسرائيلي في لندن تعرض لمحاولة اغتيال، وحتـى الآن لم يعلن من أطلق النار عليه، ويمكن أن يكون حتى الآن على قيد الحياة، مع العلم أن في جنوب لبنان كانت منظمـة التحرير عندها اتفاق وقف إطلاق نار مع الإسرائيليين، فكان لديهم اطمئنان وهدوء في شمال فلسطين، فكانـت محاولـة اغتياله في لندن تقابل باجتياح ثاني عاصـمة عربيـة.. إذن لبنان داخل دائرة الخطر، وهذا يعني أن لبنان لـيس عنـده جيش، ومحتاج لأن يحافظ على المقاومة في المرحلة المقبلة، وهو محتاج لأن يرفع مـن مسـتوى جهوزيـة المقاومـة

وروحيتها واستعداد شبابها وتلاحم شعبها، لأننـا لا نعـرف الأمور في المنطقة إلى أين ستذهب إسرائيل، كيـف تفكـر بشأن لبنان؟ هذا جانب من المشـكلة، وجانـب آخـر أننـا بالموضوع الداخلي بنفس الخلفية الفكرية والإيمانيـة التـي اشتغلنا فيها مقاومة.. وفي هـذا السـياق أريـد أن أعمـل توصيفًا دقيقًا لحزب الله، فنحن في لبنان طوائـف، ونحـن مسلمون، ومن ضمن المسلمين نحن شيعة لكننا نقول دائمـا: هناك فرق بين الانتماء الديني والانتماء الطـائفي، فانتمـائي الديني هو الذي جعلني أقاتل دفاعا عن كل لبنان وليس دفاعا عن المسلمين دون المسيحيين، أو الشيعة دون بقية الطوائف الأخرى.. فعندما كان يعتدي على اللبنانيين – سواء السنة في صيدا أو الشيعة في النبطية أو المسيحيين في الجنوب – كنا نقف في وجه إسرائيل ونواجههم بالكاتيوشا ونهدد المنطقـة بكاملها.. إذن خلفيتي العقائدية جعلتني أقاتل دفاعا عن وطني كله، جعلتني أقاتل بالنيابة عن كـل الأمـة فـي مواجهـة المشروع الصهيوني، ونفس الخلفية في لبنان:

أنا خلفيتي دينية عقائدية فأنا حزب ديني، لكـن الحـزب الديني يستطيع أن يكون حزبا وطنيـا فـي خدمـة وطنـه،

يستطيع أن يصبح حزبا قوميا في خدمة أمته العربية مثلمـا هو حزب إسلامي في خدمة أمته الإسلامية. من هنـا بهـذه الخلفية لا نقول بانتصار طائفة على طائفة، فهـذا لـم يكـن انتصار مسلمين على مسيحيين ولا انتصار شيعة على غيـر شيعة، فلم تكن هذه الخلفية موجودة لدنيا ولو للحظـة مـن اللحظات. اليوم نحن على المستوى الداخلي لحزب الله نريـد أن يصنع البلاد كله، نحن بلد له استحقاقات كثيرة، كل الشعب اللبناني مثلما كان بحاجة إلى مقاومة شريفة ونظيفـة تفكـر بعقل وطني، هو بحاجة اليوم إلى عمل سياسي يفكر بعقـل وطني للجميع وليس عملاً سياسيا يفكر مثلاً فـي امتيـازات تتحقق للمسلمين أو طائفة الشيعة، إنما يفكر في استقرار هذا البلاد ونهضته وتقدمه. فنحن في أزمة اقتصادية خانقة، فليس من المعقول أن أفكر في الشيعة والمسلمين فقـط دون أهـل لبنان، فكل إنسان في هذا البلـد هـو مسـئولية حـزب الله وخصوصا في المناطق المحرومة. لذلك فهناك عناوين عديدة يجب تدارسها وتداركها، فاليوم أسوأ ما تعاني منـه إدارات لبنان هو الفساد الإداري، مثلما كنا بحاجة إلى مقاومة نظيفة، نحن بحاجة إلى تجربة إدارية نظيفة، لا تهـادن اللصـوص

و(الحرامية) لبنان محتاج إلـى إصـلاح إداري، والمعركـة ليست لطائفة على حساب طائفة أخرى، إنما لحسـاب كـل لبنان، وستوجد ساحة عمل كبيرة لحزب الله يمكنه أن يقـدم فيها نماذج إيجابية.

هناك علامات استفهام عديدة حول المستقبل العسـكري لحزب الله.. فماذا لو وافقت إسرائيل على الانسـحاب مـن مزارع شبعا وكل النتوءات التي تحتلهـا داخـل الأراضـي اللبنانية.. ووافقت على إطلاق جميع المعتقلين؟

- يبقى العنوان الثالث الذي قتله وهو الأهم، وهذا الأمر الكل هنا يحكي فيه والمسئولون يحكون فيه: ما دام لبنـان فـي دائرة تهديد، فلا أحد يمكن أن يفتح ملف تسريح المقاومة.

وما هو شكل العلاقة بين حزب الله والدولة فـي حالـة استعادة باقي الأراضي اللبنانية، خاصـة بعـد أن أعلنـتم مسبقًا: اليوم تحرير الأراضي اللبنانية وغدا تحرير الجولان والقدس، وصولاً إلى قلب إسرائيل... وهـل هـذا الهـدف صعب التحقيق؟!

- هذه عقيدة، لكن تحرير جنوب لبنان كان بالدرجة الأولـى مسئولية الشعب اللبناني، ولكن مسـئولية كـل الأمـة أن

تساعده وتساانده ولا تجعله يقف وحده.. أما فـي فلسـطين فهذه مسئولية الشعب الفلسطيني، وعلـى الأمـة أن تقـف بجانب الشعب الفلسطيني فعلينا أن نقف بجـوار شـعب فلسطين، وهذا يختلف من بلد لبلد ومن تنظيم لتنظيم ومـن مجموعة لمجموعة، لكن المبدأ والقاعدة أن نقف جميعا إلى جانب شعب فلسطين لتحقيق هذا الأمل الكبير إن شـاء الله تعالى.

ولكن ماذا لو استمر احتلال إسـرائيل لمـزارع شـبعا والقرى اللبنانية الأخرى؟

- الطبيعي أن تستمر المقاومة مادامت هناك أرض مازالـت محتلة، وهذا في نهاية المطاف يخـدم موقـف الحكومـة اللبنانية، رغم أنه قد يبدو للبعض في الوهلة الأولى أنه قد يكون هناك تعارض، فلابد أن يكون هناك دولة ومقاومـة وقدرة على توزيع الدوار من حيث النتيجـة، وهـذا مـن عناصر القوة اللبنانية، فما دامت هناك أرض محتلة فمـن الضروري والطبيعي أن تستمر عمليات المقاومة حتى يتم تحرير هذه الأرض.

وهل ترى أن المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة لديها القدرة على تجاوز كل العقبات الموضوعة في طريقها وبخاصة عدم وجود أرض ولا ظهر لها كما كان الحال مع المقاومة اللبنانية؟

- في عام ١٩٨٢ عندما بدأت المقاومة الإسلامية في لبنان قال المحللون السياسيون والمثقفون إن هذه المقاومة بلا جدوى، وأنتم عملاء إيران وتقاتلون لحساب الإيرانيين، وأنتم تتلقون أوامر من دمشق، ولم يلتف حولها الشعب اللبناني بهذه الصورة إلا بعد أن أثبتت المقاومة جدواها وفاعليتها وبدأ كثير من الناس يقتربون منها. نحن كي نتمكن من الوصول إلى أهدافنا كان علينا أن نتجاوز الحاجز الأمريكي والحاجز الفرنسي وحاجز القوات متعددة الجنسيات وقوات الطوارئ والعملاء وغيرهم، فكل هذه المراحل مررنا بها في بداية عمل المقاومة، وهذا ممكن داخل فلسطين، لأن لبنان قدم آلاف الشهداء وآلاف المعتقلين، وآلاف البيوت المهدمة، وأقول أنه لو كل يوم يضرب خمسة فلسطينيين خمسة من قوات الاحتلال الإسرائيلي سيتحقق لفلسطين حريتها واستقلالها، والله تعالى

ينصر المستضعفين طالما أن الحق معهم، والسيارة يجعلها تهزم الدبابة. لذلك أقول إن المقاومة الفلسطينية لو أصبحت مقاومة سكاكين وحجارة، فهي قادرة على تحرير فلسـطين بإذن الله.. وأقولها صراحة: أنا أضمن تحرير فلسطين بعدد شهداء أقل من عددهم في الحرب الطائفية في لبنان، لأنني أعتقد أن إسرائيل من الداخل هي أوهن من بيت العنكبوت، وهذه المقاومة تستحق التضحية من أجلها، وفـي النهايـة ستحقق الهدف الذي نبغيه جميعا منها.

وماذا عن تحفظات حزب الله على تعاطي الدولـة مـع عملاء ميليشات أنطوان لحد، وكيف ترون قضية التعـاطي مع العملاء؟ وهل سيكون لحزب الله دور في عمليـة إنمـاء الجنوب وإعماره بعد الانسحاب؟

- أولاً، في قضية العملاء نرى أن هنـاك مخـاطر جديـة وحقيقية وهناك مستوى من ضبط الأعصاب لدى الأهـالي الموجودين في المنطقة، مع العلم بأننا في قضية العمـلاء كان يحركنا إحساسنا الوطني إذ أن الأكثرية الساحقة مـن المسجونين الذين يتعرضون للمحاكمة هم من الشيعة، ومع ذلك لم نطالب بعفو عام عنهم، بل إننا طالبنا بإنزال أشـد

العقاب عليهم فالعملاء كان الجزء الأكبر منهم من الشيعة، يليهم المسيحيون، يليهم الدروز، لأن الكثافة السكانية فـي هذه المنطقة غالبيتها من الشيعة ثم المسيحيين ثم الـدروز، وليس أن الشيعة كانوا الأكثر انضماما للعملاء أن نتركهم فالعميل عميل ولابد أن يعامل على هذا الأساس، ولا تفرقة بينهم على أساس ديني أو طائفي أو غيره.

- أما عن أعمار الجنوب وإنمائـه فنقـول إننـا بإمكاناتنـا المتواضعة سوف نبذل جهودنا المالية ومجهوداتنا الخاصة، ولابد أن يتعاون الجميع في ذلك، الدولة وكل المؤسسـات اللبنانية الرسمية وغير الرسمية، لأن الجنوب بحاجة لكـل هذه الجهود مجتمعة.

وماذا عن بعض الضغوط الخارجية التي تحـاول بعـض المنظمات والقوى الخارجية فرضها على لبنان فـي هـذه المرحلة، وما هو دور حزب الله في ذلك؟

- في الواقع هناك ضغوطات عديدة مـن الأمـم المتحـدة وغيرها، خاصة في مسألة ترسيم الحدود وقد حاولت بعض الدوائر أن تناقش معنا هذه القضية، لكننـا رفضـنا ذلـك وتركنا هذا الأمر للحكومة وحدها، ولنمنع أيـة محـاولات

لإحداث وقيعة بيننا وبين الدولة في هذا التوقيت الحساس أو النيل من الوحدة اللبنانية.

وما هو دور حزب الله في المرحلة المستقبلية لمنع الاقتتال الطائفي مجددا على نحو ما تهدف إسرائيل الآن؟

- نحن على استعداد كامل لبذل الجهود مع كل الطوائف اللبنانية، والحمد لله لدينا علاقات جيدة مع كل الطوائف وكل الأحزاب وكل الفعاليات والمواقع، ونستعمل هذه العلاقات لخدمة المقاومة، ويمكننا أن نوظف هذه العلاقات لخدمة مشروع التلاحم الوطني، والحيلولة دون حدوث انقسامات طائفية أو انشقاقات طائفية داخل لبنان، ونحن عملنا تشكيلاً عسكريا من كل الطوائف والسرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال، وعندما يكون هذا الهدف مطلوبا فإن الآلية والتنظيم والشكل أمر سهل، فنحن عندما نتعامل ونتعاون مع كل الجهاد اللبنانية، يمكن أن نكون أول بلد إسلامي التقى فيه إسلاميون وقوميون ومارونيون ومسيحيون على طاولة واحدة في لبنان، فالذي جمعهم هو حزب الله، فإذا كان لدينا كل هذا التعاطي والتعاون فنحن

حاضرون للقيام بأية مبادرة أو عمل للمواجهة وحسم الخلافات.

وما هو تقويمكم للموقف المصري من القضية اللبنانية، وما هو موقفكم من الوجود السوري في لبنان في ضوء العلاقة الوثيقة بين حزب الله وسوريا؟

- نحن جميعا قدرنا الدور المصري المساند للبنان، خاصة خلال الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، وإذا مصر قالت بجدية ممنوع الاعتداء على لبنان فهي قادرة على وقف أية اعتداءات علينا، لذلك كنا حريصين على ذلك وكانت مصر حريصة هي الأخرى، ولذلك رأينا أن قوة لبنان تضاعفت خلال العدوان الأخير بعد موقف مصر المساند لها بقوة، وزيارة الرئيس مبارك لبيروت وإعلانه تأييد مشروعية المقاومة اللبنانية، ولكن الدور المصري غير كافٍ ونأمل أن يتطور وألا يقتصر على دور الوسيط بين الجاني والضحية؛ فمصر أكبر من ذلك بكثير.. أما عن الوجود السوري في لبنان فأقول أنه حاجة وطنية، ولم يكن هناك طوال فترة الوجود السوري أي خلاف، ومن الصدف الغريبة أن الذي طالب بدخول سوريين إلى لبنان كانت

القوى المسيحية بلبنان، وكانت القوى الإسلامية والحركـة الوطنية تخالف ذلـك، والآن الـذين يطـالبون بخـروج السوريين هم نفس القوى التي طالبت بـدخولهم، وعنـدما صدر القرار بدخول القوات السورية إلى لبنان لـم تكـن إسرائيل موجودة فيها، فهناك معادلات مختلفة، ثم حـدثت تطورات بالغة الخطورة، وللأسف الشديد فإننا قلنـا إنـه عندما يكون لبنان قادرا على أن يقف على قدميه ويتماسك ولا يتشقق وينهار ويتقاتل، في هذه الحالة لن تكون هنـاك حاجة لوجود قوات سورية على أرض لبنـان، يجـب أن نوفر شروطًا من هذا النوع، لكن الـذين يرفضـون هـذه الشروط هم الذين يطالبون بخروج القوات السورية، فلبنان الآن لو ظل وحده سيعود القتال من جديد حـول توزيـع المناصب الوزارية وغيرها بين الطوائف والأحزاب، وفي الانتخابات إذا لم تكن القوات السورية موجودة يمكـن أن تحدث حرب أهلية جديدة، لذلك فأنا أتهم الـذين يطـالبون بخروج القوات السورية بأنهم يريدون إشعال حرب أهليـة جديدة صراحة، وهذا مطلب إسرائيلي بالدرجة الأولى ومن ورائه مطلب أمريكي ثان.

ننتقل إلى مرحلة ما بعد الإنجاز التـاريخي لحـزب الله ونسألكم ما هو دور حزب الله في مواجهـة التطبيـع مـع إسرائيل؟

- هذا الموضوع من أهم عناصر الاتفاق بين القوى اللبنانيـة – مسلمين ومسيحيين وغيرهم - لأن هناك إجماعا علـى ضرورة مواجهة أي شكل من أشكال التطبيع، لكن المشكلة عندما تكون الدولة موقعة الاتفاق مع إسرائيل فما دامـت الدولة لديها اتفاق تكون المواجهة أصعب، إنما الموقف في لبنان يختلف لأن الدولة لم توقع اتفاقًا مع إسرائيل وأعلنـا صراحة: إننا سوف نواجه التطبيع على كـل المسـتويات خلال الفترة القادمة، وبكل أشكاله، ولن نجعله ينفذ إلينا بأي حال من الأحوال.

أخيرا: كيف تنظرون إلى التهديـدات الأمريكيـة بنقـل سفارتها إلى القدس في حالة عدم إذعان عرفات للمطالـب الإسرائيلية، وفي مقدمتها عدم إعلان الدولة الفلسطينية من جانب واحد؟

- هذه التهديدات الأمريكية ليست جديدة أو وليدة هذه اللحظة، لأننا نعلم جيدا مدى مساندة الإدارة الأمريكية لإسرائيل ضد

المصالح العربية والإسلامية دوما، حيث تعـد الولايـات المتحدة هي عدونا الأكبر، ولابد أن نعي هذه الحقيقة جيدا. أما فيما يخص قضية نقل السفارة الأمريكية إلـى القـدس، فأقول: إن مثل هذا التصرف يمثل تحـديا صـارخًا لكـل العرب والمسلمين، لأنهم يعلمون حق العلم ما تمثله القدس من مكانة دينية وأنها رمز تـاريخي للعـرب والمسـلمين جميعا.. لذلك لن يقف العرب والمسلمون صامتون في حال تنفيذ أمريكا لهذه التهديـدات، بـل سـيحولها المقـاومون الفلسطينيون وكل المجاهدين الشرفاء في العـالم العربـي والإسلامي إلى ركام، وسوف نشيع جثـث الدبلوماسـيين والموظفين الأمريكان إلى واشنطن في نعوش.. لذا نحـذر الإدارة الأمريكية من الإقدام على مثل هذه الخطوة، كمـا نطالب شعبنا المقاوم في فلسطين بالانتفاضة من أجل تغيير هذا الواقع السيئ الذي جلبته اتفاقيـات أوسـلو وغيرهـا، وجعلت الأمريكان واليهود يتبجحون على مقدسـاتنا بهـذا الشكل.

فالقدس هي قضية المسلمين جميعا، ويجب ألا يفرط فيها أي عربي أو مسلم شريف، ولابد أن نبذل جمعيا كل جهودنا

حتى نعيدها إلى أمتها العربية والإسلامية مجددا، فهـي لـن تعود بالمفاوضات كما يزعم البعض، وإنما بالمقاومة والجهاد المستمرين، إنهما هما الطريق الوحيد لاستعادة القدس وكـل فلسطين المغتصبة من قبل العدو الصهيوني وأعوانه، وفـي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية.

بدأ زمن زوال إسرائيل

كشف الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصـر الله في "مهرجان الوفاء للمعتقلين" ـ الذي أقـيم مـؤخرا علـى ملعب "شهداء المقاومة الإسلامية" في بلدة الخيام الحدودية ـ اسمي قائدي عمليتين استشهاديتين كلاهما يحمل اسـم "أبـو زينب" نفذاهما عام ١٩٨٥ ردا على "المجزرة التي ارتكبتها المخابرات الأمريكية والإسرائيلية" في بئر العبد في الضاحية الجنوبية (استهداف السيد محمد حسين فضل الله)..

فأوضح أن اسم الأول أحمد شبير الحسن وهو من بـرج البراجنة وكان يواكب في العملية الشهيد علي محمد سـليمان من بلدة باتولية وانفجرت قبل الوصول إلى الهدف، والثـاني الذي بقي اسمه سرا إلى اليوم هو من بلدة دبـين الجنوبيـة واسمه عامر علي كلاكش وقد اقتحم بسيارته قافلة إسرائيلية على بوابة المطلة مما أدى إلى سقوط ٢٥ ضـابطًا وجنـديا إسرائيليا بين قتيل وجريح باعتراف إسرائيل حينها.

وتطرق نصر الله إلى موضوع المعتقلين فـي السـجون الإسرائيلية مجددا العهد "إننا لن نتـركهم هنـاك" وأضـاف

مشيرا بيده إلى مقاعد جلس عليها ٢٣٤ أسيرا محررا وإلى جانبهم ١٦٠ مقعدا شاغرا تعبيرا عن بقاء أصحابها في السجون الإسرائيلية:

"إن هذه المقاعد ستمتلئ قريبا.. هذا ليس شعارا.. نحن ملتزمون بإعادتهم من أي حزب أو تنظيم أو طائفة كانوا، وسنفعل كل شيء لتمتلئ هذه المقاعد وأيا تكن الأثمان والتضحيات"..

وتناولت تصريحات لبعض المسئولين الإسرائيليين الذين حذروا من استئناف "حزب الله" حمل السلاح مجددا بعد الانتخابات النيابية.. وقال الإسرائيليون ينتظروننا في كل مكان ويحلمون بنا وهم نيام:

(رئيس حكومة إسرائيل إيهود باراك ورئيس الأركان شاول موفاز وقائد المنطقة الشمالية كابي اشكينازي) والجميع هم يحددون التوقيت قبل الانتخابات وبعدها. طبعا نحن لن نقول لهم شيئًا، دعوهم في قلقهم وخوفهم واضطرابهم (......).

وتابع: "إننا أمام دولة مصطنعة وأمام كذبة هي إسرائيل التي نعرف جيدا نقطة ضعفها. وقد سقطت ودخلت روح

الهزيمة إلى هذا الكيان ويجب أن تعدوا بدء زمن زوالها من الوجود من ٢٥ أيار (مايو) ٢٠٠٠ (جـلاء إسـرائيل عـن الجنوب)..

إلى ذلك أعلن نائب الأمين العام لحزب الشيخ نعيم قاسـم في تكريم شهداء بلدة حولا، إن قضية المعتقلـين والرهـائن اللبنانيين داخل سجون العدو "قنبلة موقوتة لا يعلم أحد في أي لحظة ستنفجر في وجه إسرائيل وأمريكا ومجلس الأمن.

وسأل "لماذا كل هذا القلـق الإسـرائيلي والـدولي مـن موضوع رشق الحجارة"؟

وقال:

"على الرغم من أننا نعلم خلفية هذا الموضوع نسأل لماذا السكوت عن قضية الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال؟. فنحن لا يمكن أن نبقى ساكتين على بقائهم".. وكشـف اسـم مقاوم سقط حين كان في مجموعة أمنيـة تابعـة للمقاومـة الإسلامية داخل صفوف "جيش لبنان الجنـوبي" فـي عبـوة ناسفة، وهو كامل حسين علي حسين من حولا، وقـال: لـم يعلن اسمه في حينه لضرورات أمنية..

"حزب الله الأمل الوحيد للفلسطينيين ومن يسلك طريق التسوية سيجد مأزقًا

ولقد اعتبر السيد حسن نصر الله "أن الحزب وكل ما يلتزم خطه هو الأمل الوحيد للشعب الفلسطيني المعذب داخل فلسطين والمشرد خارجها". وذلك ردا على اتهام إسرائيل لأبناء مختار إحدى القرى الفلسطينية المحتلة بأنهم على علاقة مع "حزب الله" وقال: "ستسمعون حكايات كثيرة من هذا النوع في الأيام المقبلة، فالتسمية انتقلت مباشرة إلى "حزب الله" بعدما كانت لحماس والجهاد والمنظمات الفلسطينية المناهضة لعملية التسوية، ونحن نعتبر أننا اليوم في قلب كل فلسطيني في الأرض المحتلة وخارجها"..

ولفت نصر الله إلى: "أن إظهار مفاعل ديمونا النووي الإسرائيلي في صحراء النقب على شاشات التلفزة في هذا الوقت ليس حدثًا عاديا وعابرا، بل هو إعادة تذكير للعرب والفلسطينيين بألا يحسبوا كل الحسابات على قياس لبنان وفي هذا مخادعة"..... وأكد: "أن لا رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ولا غيره لديه تفويض عربي بالقدس وفلسطين

أو أن يتنازل عن شبر واحد من الأراضي العربية للإسرائيليين". وذلك ردا على تصريح لوزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت في هذا الشأن..

وفي مهرجان في بلدة العين البقاعية شدد نصر الله على "أن الصهاينة سيرحلون عن هذه الأرض عاجلاً أم آجلاً.. مؤكدا: "أن ما حصل في أمريكا واستراليا لا يمكن أن يحصل في لبنان وفلسطين والمنطقة العربية، فنحن لسنا هنودا حمرا." وقال: إن الذين يسلكون طريق التسوية لن يجدوا أمامهم المأزق، أما طريق المقاومة فليس أمامه إلا نتائج واضحة هي الانتصار والعزة والكرامة والشرف، وهذا ما ندعو شعوب هذه المنطقة إليه.."

وفي الشأن الداخلي اللبناني انتقد نصر الله "التحريض المذهبي الذي لم يجن للبنان سوى الانقسامات والعداوات والمأساة والجوع والحرمان والفقر".. قائلاً: "إن الذي يتحدث بلغة طائفية تحريضية لا يريد بناء البلد وإعماره بل يريد تدميره ليكون زعيما..

وأوضح أن تحالفات "حزب الله" في كل الدوائر وخصوصا مع بعض الأحزاب هي منسجمة تماما مع خطه

ورؤيته وموقفه وهدفه السياسي". وقال: "عندما تركب اللوائح وتضم شخصيات أسياسية لها مواقعها، ومـن خـلال روح التعاون والائتلاف لأننا أحببنا تحصين هذا النصر"..

نصر الله يرد على تهديد إسرائيل

المستعمرات تحت أقدام مجاهدينا

ورد الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسـن نصـر الله مؤخرا على تهديد قائد سلاح المشاة الإسـرائيلي الجنـرال موشيه إيفري باجتياح جنوب لبنان مجـددا.. فسـأل: "هـل يتصور هذا الجنرال أن الاعتداء على لبنان يبقى بـلا ثمـن وبلا رد وبلا مواجهة؟"..

وأضاف: "عندما كانت مستعمراتهم بعيدة عنا كيلومترات عدة لم تكن في منأى عن خطرنا، فكيف وهي اليـوم تحـت أقدام مجاهدينا؟"..

وأكد نصر الله في احتفال ببلدة معروب (جنوب لبنان) أن لبنان لم يخرج من دائرة التهديد، لأنه لم يخرج مـن دائـرة الأطماع الإسرائيلية.. وسنبقى نسمع المزيـد مـن التهديـد والوعيد". معتبرا أن الجنرال الإسرائيلي يهدد وهـو خـائف ويعترف بالضعف "وسأل" هل يتصور أن الاعتداء على لبنان أو على جنوبه أو على قرية لبنانية نزهة؟.. وهل يظن أننـا مازلنا في العام ١٩٧٨ أو العام ١٩٨٢؟.. هؤلاء لم يعتبروا

على ما نظن أو أن هذا مجرد تهويل فارغ لأننا فـي سـنة ٢٠٠٠ ونحن قبل ٢٥ أيار (مايو) وبعده قـوم مختلفـون".. وقال: "نحن دخلنا في زمن مختلف وعصر مختلف بالنسـبة إلى هؤلاء الصهاينة.. وستسمعون في المرحلة المقبلة كلاما هدفه التهويل، لأن الهاجس الكبير الذي يحكمهم في فلسطين المحتلة هو هاجس "حزب الله". فهم يحلمون به ومسـكونون بهاجس النموذج الذي قدمه، وعندما يتوافر داخل فلسطين – وهو موجود بكل تأكيد - عناصـر حاضـرون للاستشـهاد والتضحية – وقد حـدث والحمـد لله - سـيهزم المجتمـع الإسرائيلي، لأنه لا يملك إمكانات المواجهة". وأشـار إلـى تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت عـن الدول المانحة معتبرا أن: "الضغوط الأمريكية والأوروبيـة ستبقى على لبنان"، داعيا إلى صد ومواجهة وثبات..

وقال نائبه الشيخ نعيم قاسم إن المقاومـة سـتبقى علـى جهوزيتها.. ويجب أن نكون دائما مستعدين لأيـة مواجهـة محتملة مع العدو لم تتوقف ولم تنته.. وأضاف في احتفال في النبطية: "نحن في مرحلة مؤقتة يمكن أن تفتح لاحقًـا علـى مواجهة هذا العدو لأنه يحمل نفسا عدوانية، ولا يزال معتديا

على أرضنا في مزارع شبعا وغيرهـا، ولا يـزال يحـتفظ بالأسرى والمعتقلين"..

وفي الشأن الانتخابي أشار إلى دخول السـلطة والمـال والإعلام وكل الإمكانات سواء أكانت موالية أم معارضة في بازار إسقاط معنويات الانتخابات حتى بات الجميـع يريـد الخلاص ومرور الأيام المقبلة لترتاح النفوس. وسأل: هـل يصح أن يستخدم البعض الإطار المذهب للتحريض من أجل مكاسب إضافية في عدد الأصوات، وأن يشـتري الـبعض الضمائر وأن تُلفق التهم..

إسرائيل ستُحمل "حزب الله"

تبعة أي عمل داخل فلسطين المحتلة

وأضاف الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصر الله: "أن إسرائيل ستحمل الحزب مسؤولية أي عمل داخل فلسطين المحتلة، لأنه أدخل ثقافة جديدة وقدوة جديدة انتقلت عدواها إلى هناك".. وأضاف: لذلك نجد أن غالبية الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج يائسة من التسوية، وتعرف أن الطريق الوحيدة لاستعادة فلسطين والمقدسات هي طريق حزب الله..

وتابع في "مهرجان التحرير والنصر" في مدينة الهرمل: "نحن مسئولون أن نحافظ على هذه الثقافة وهذا النهج، لأنه يمكن أن يؤسس لتحول كبير في منطقتنا وهذا يعني أن نبتعد عن كل حساب طائفي أو مناطقي أو عشائري عندما نواجه القضايا الوطنية الكبرى.."

ورأى أن لبنان مازال في دائرة الخطر والتهديد، لذلك لا يجوز لأحد أن يتعاطى مع الأحداث والتطورات والأوضاع، وخصوصا على المستوى اللبناني من منطلق أن مشكلتنا مع

إسرائيل انتهت، رد أن هناك جزءا من أرضنا مازال تحت الاحتلال وبعضا من إخواننا مازالوا في الأسر..

وكرر موقف "حزب الله" من تهديدات قائد سلاح البر الإسرائيلي الجنرال موشيه ايفري.. وقال: "إن تصريحه يحمل ضعفه فيه.." وسأل:

مادام يهدد.. لماذا لم يبق في لبنان؟

واستبعد نصر الله العمليات السريعة.. وقال: اليهود أجبن من أن يزجوا بعد الذي حصل في لبنان بضباطهم وجنودهم في مواجهة المقاومين وهم يخافون العودة إلى لبنان، ونؤكد لقائد سلاح البر أن كل هذه التهديدات والتهويلات لم تجد في السابق نفعا معنا، ولن تُجدي اليوم ولا في المستقبل شيئًا، ولأننا أقوى مما مضى وأشد عزما". وأضاف: "عندما كانوا يهددونا في السابق كانت مستعمراتهم بعيدة عشرات الكيلومترات وكنا لا نخشاهم، فكيف اليوم وكل مستعمراتهم تحت أقدام مجاهدي المقاومة الإسلامية؟".. وأكد: "إننا لسنا في الموقع الذي يرعبه التهديد أو يخيفه التهويل أو يعيد حساباته، وإن المواجهة لن تكون نتيجتها إلا النصر".

ودعا نصر الله الدولة إلى معالجة مشكلات منطقة بعلبـك –الهرمل.. خصوصا إنمائيا وحياتيا.. وقال: يجب أن نكـون في برنامج واحد مع المناطق المحررة، وفـي أول زيـارة لرئيس الجمهورية العماد إميل لحود حدثته عن هـذا، وفـي أول لقاء رسمي مع الرئيس بشار الأسد سنطلب منـه هـذا، وهو الذي فتح باب العناية للاقتصاد فـي سـورية، ولبنـان مرتبط بسورية في وحدة المصير ومن ضمنه الشأن الحياتي والإنمائي والاقتصادي..

سلمنا القضاء
شبكة تعمل لمصلحة إسرائيل

ولقد وصف الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصر الله الشروط التي تفرضها الدول المانحة على لبنان من أجل عقد مؤتمرها، بأنها "تعجيزية وتأتي للنيل من لبنان والعمل على تجريد المقاومة من سلاحها "وشبهها بـ "الاحتلال الإسرائيلي" وأشاد في حديث إلى وفد نقابة المحررين برئاسة النقيب ملحم كرم، "بالثقة الكاملة" التي قامت بين رئيس الجمهورية والحكومة إميل لحود وسليم الحص من جهة والمقاومة من جهة أخرى في ما يتعلق بملف الجنوب معتبرا أنها سهلت الانتصار الذي تحقق.. وأشار إلى ما يحدث الآن وقال: إن إسرائيل يجب ألا تطمئن لحظة واحدة مادام هناك أسرى ومفقودون وأراضٍ محتلة مثل مزارع شبعا وسواها..

وأكد التزام المقاومة ما تقوله الدولة. وأضاف: "إذا قالت إن شبعا ومزارعها أراضٍ لبنانية، كان على المقاومة أن تعمل جهدها لتسهم في استرجاعها إلى الوطن.."

ونفى أن تكون المقاومة أنشأت كيانًا أمنيا رسميا.. وأعلن عن كشف شبكة تخريب سرية كانت تعمل لمصلحة إسرائيل بعد جلاء القوات الإسرائيلية ولديها أجهـزة اتصـال بهـا، وكانت تخطط لعمليات قتل في الشريط الحدودي، وقد سـلم الحزب أفرادها إلى القضاء اللبناني.

وأكد أن كل ما قامت به المقاومة هو تسليم المطلوبين إلى الدولة ولم تتول يوما شأن التحقيق معهم أو معـاقبتهم فـي إشارة إلى المعاملين مع إسرائيل وعناصـر "جـيش لبنـان الجنوبي" السابق.. وأضاف: "إن هناك من يقول إن القضـاء يتساهل أما نحن فنؤمن بالقضاء وبعدالته..". وعـن تشـكيل الحكومة المقبلة قال:

إن ثقة "حزب الله" غالية ولـن تمـنح بسـهولة لمـن لا يستحقها نحن لا نتدخل في قضايا المحاصة ولا نبحث فـي الأسماء، وما يهمنا البرنامج وليس مهما أن نكون ممثلين في الحكومة أم لا.. المهم أن تكون الحكومة قادرة على تحريـر لبنان من صعوبات كثيرة خصوصا على الصعيد الاقتصادي وقضية ملف الجنوب الذي لا يزال مفتوحا..

وفي الوفاق الوطني لفت النظر إلى المصارحة والتفـاهم بعيدا عن المذهبية، وقال:

"إن حزب الله لم يساوم للحصـول علـى مكاسـب وأن التحالفات التي حصلت كانت قائمة قبل الانتصار.." واعتبـر أن الحوار الوطني لا يجوز أن ينطلق من مسبقات بل يجـب أن يكون نتيجة دراسة، وجلـوس إلـى طاولـة ومحاولـة للوصول بالمشكلات إلى حلول تُرضي كل الفُرقاء..

وعن العفو عن الدكتور سمير جعجع وعودة ميشال عون أكد أن الشأن قضائي ويجب أن يبقى في إطاره.. وقال: عن استمرار الاستنهاض الطائفي يقود إلى حرب أهليـة ويمهـد لها.. مشددا على ضرورة التعاطي معه بموضوعية وهـدوء ومن منطلق الإيمان بضرورة حصول الاستقرار في لبنان..

تفاصيل الـ ٨ دقائق

التي هزت إسرائيل

الجنود الإسرائيليون الثلاثة

العملية في حد ذاتها وكيف تمت.. في معلومـات التـي وردت أن قيادة "حزب الله" استبقت التنفيذ بعمليـة مراقبـة طويلة النفس للشريط المسيج والمراكز العسكرية الإسرائيلية امتدت أسابيع، وقبل العملية الأخيرة بساعات قليلة صـدرت أوامر واضحة إلى القيادة العسكرية بالتوجه إلـى الجنـوب، وأسندت إلى كل مجموعة مهمة واضحة. مثل هذه الأوامـر كانت عادة تُعطَى في كل مرة يظهر أمين عام الحزب فـي إحدى القرى الجنوبية أو البقاعية المتقدمة، مما يدل على أن السيد حسن نصر الله كان في المنطقة لحظة التنفيذ..

المهم أن الجهاز الأمني التابع للحزب كان مسـتنفرا فـي معظم المناطق الحدودية من دون أن تُعرف الأسباب الحقيقية الكامنة وراء هذا الاستنفار، لكن "الحجة" المعلنـة كانـت أن "السيد" – أي الأمين العام - قد يكون في زيارة لبعض أسـر الشهداء أو المعتقلين، وأن حمايته في هذه المرحلـة تتطلـب يقظة وخاصة في ضوء المعلومات التي تتجمع عن خطة أو خطط إسرائيلية جديدة لاغتياله، وكل هذا أبقى حركة الحزب ناشطة طوال الساعات التي سبقت التنفيذ..

وتقول رواية أخرى أن مسئولين عسكريين كبيرين تابعين مباشرة للأمين العام هما اللذان أشرفا على التخطيط والتنفيذ بعد دراسة وافية وتدقيق في كل التفاصـيل الميدانيـة، وأن حسن نصر الله تابع بنفسه كل مراحل التخطيط وحرص على أن يكون قرب الموقع الذي شهد عملية الأسر كي يطمئن إلى أن كل شيء في محله، من دون أن يمـر بالأقنيـة الأمنيـة التقليدية.. وهذا يعني أن الأمين العام هو الذي أعطى الأوامر بنفسه ودرس بنفسه، واستعان بمستشاريه قبل أن يعلن أنـه يتحمل مسئوليتها بشكل كامل، وقبل أن تتحول بيروت إلـى مركز وساطات دولية من أجل تأمين المقايضة..

وفي تفاصيل أخرى أن المجموعة التـي تولـت التنفيـذ الميداني بدأت بإطلاق قنبلة صوتية أمام الدورية الإسرائيلية. عقبتها زخات نارية في الهواء قبل أن يتوجـه أحـد أفـراد المجموعة ليقف أمام المجنزرة ويطلب من جنودها الترجـل مهددا بتفجيرها إذا هم لم يذعنوا، وبسـرعة نـزل الجنـود الإسرائيليون وانبطحوا أرضا.. فعالجهم أفـراد المجموعـة بوخز الإبر المخدرة، وتم إخراجهم محمولين على الأكتـاف قبل أن تتحرك الطائرات المروحية لترسم دائـرة نـار فـي

المنطقة التي حصلت فيها العملية، ثـم تبـدأ بتعقـب كـل السيارات المدنية لشل حركتها في اتجاه الشمال..

وما حصل في النهاية هو أن مجموعة من سبعة كـوادر هي التي تولت التخطيط والتنفيذ ببرودة وثقة اسـتنادا إلـى رصد ميـداني لكـل المعطيـات وتصـور واقعـي لكـل الاحتمالات.. والعملية التي أسر فيها العسكريون الثلاثة على طريق "بركة النقار" لم تستغرق سوى ثلاث دقائق، وكانـت أشبه بالأفلام البوليسية، أما نقل الأسرى إلـى الـداخل فقـد تطلب خمس دقائق تقريبا، بما في ذلك القفز من فوق "الخـط الأزرق" ونُقل الإسرائيليون إلى حيث لا يعرف بهم أحد..

وفي المعلومات التي توفرت حتى الآن أن الجنود أصيبوا بالذهول منذ انفجرت القنبلة الصوتية، ولم يتمالكوا أعصابهم أمام رؤية رجال "حزب الله" على طريق شبعا فـي منطقـة وعرة جدا.. ثم إن القصف الذي اسـتهدف مواقـع الجـيش الإسرائيلي في المنطقة لحظة تنفيذ العملية شغل هذه المواقع بحماية نفسها، فتناست أمر الدورية التي وقعت فـي كمـين المقاومين السبعة. ثم إن الإمدادات الإسرائيلية السريعة التي كان يفترض أن تصل إلى بقعة الكمين تأخرت لأنها كانـت

تجهل طبيعة ما يدور في هذه البقعة، الأمر الـذي أعطـى المجموعة المنفذة وقتًا كافيا للخروج من المنطقة..

نصر الله يدعو قمة الدوحة
إلى عزل إسرائيل

طالب الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصر الله القمة الإسلامية المنعقدة في الدوحة بخطوات جديدة لقطع علاقات الدول العربية والإسلامية مع إسرائيل داعيا إلى تعطيل مفاعيل الضغوط الأمريكية على الحكومات والأنظمة.. كما دعا إلى عزل إسرائيل مجددا في المنطقة وتقديم الدعم لشعب فلسطين حتى لا يحاصره أحد.. وقدر قيام قطر بإقفال مكتب إسرائيل التجاري لديها ولو متأخرا..

وقال نصر الله في كلمة له في احتفال بيوم شهيد "حزب الله":

في سنة ٢٠٠٠، بالمقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين، الوقائع تجعلنا نقترب من النبوءات. وهي أن مشروع إسرائيل الكبرى سقط..

وأضاف: "يجب أن يشعر أي نظام عربي أنه إذا لم يقطع علاقاته مع إسرائيل فإنه مهدد بالسقوط.." وهذا يجعل السيد الأمريكي يتفهم ظروف هذا النظام العربي أو هذا الزعيم

العربي، وقال: "لا يجوز أن تهدأ الشوارع العربية، ولا يجوز أن يتحول قتل الشعب الفلسطيني اليومي إلى خبر عـادي.. وعن التهديدات الإسرائيلية للبنان وسورية قـال: "إن الإدارة الأمريكية وسفيرها في بيروت تساعد في نقلها كـل يـوم." واعتبرها تهويلاً وقال:

"لا تخافوا.. فالخائف هو رئيس وزراء إسرائيل (إيهـود باراك) ورئيس الأركـان (شـاول موفـاز) واشـكينازي.. والمستعمرات".. وهدد بدوره قائلاً:

"يخرقون الأجواء ويرسلون المروحيـات ويحاصـرون البحر.. هذا لن يبقَى من دون رد، ولا يغير من حقنـا فـي متابعة تحرير أرضنا وأسرانا والتربص والانتظار ومراقبـة التطورات في فلسطين المحتلة، ولا يظن الصـهاينة أن فـي إمكانهم التمادي.. ولن نتخلى عن مسئولياتنا، لا تجاه لبنـان ولا تجاه الشعب الفلسطيني والقدس والمسجد الأقصى..

حزب الله الفلسطيني

هل يمكن أن ينشأ حزب الله الفلسطيني على غرار حزب الله اللبناني؟. ما هي إمكانية ذلك، وهل يفعل بإسـرائيل مـا فعله حزب الله اللبناني بها؟. هل الظروف الفلسطينية مشابهة للظروف اللبنانية؟.. أم أن تلك الظروف –الموضوعية الذاتية - أفضل أم أقل ملاءمة لنشأة مثل هذا الحزب؟..

سنحاول الاقتراب من التجربتين اللبنانيـة، والفلسـطينية، ونحدد بالتالي السيناريوهات المحتملة في هذا الإطار.

إذا قلنا إن حزب الله اللبناني الذي نشأ في أوائل الثمانينات على يد مجموعة من المجاهدين وعلماء الدين أمثال راغـب حرب والسيد عباس الموسوي الأمين العـام الأول للحـزب والذي استشهد بعد ذلك على يد القوات الإسرائيلية بعـد أن رصدته أجهزة العدو في عودته من حفل تأبين ذكرى الشيخ راغب حرب، ومـن ثـم أطلقـت الطـائرات الإسـرائيلية الصواريخ على موكبه فاستشهد مع زوجته وابنه، وإذا قلنـا إن ذلك الحزب قد امتلك الرجال المؤسسين الأفذاذ من أمثال راغب حرب وعباس الموسوي ثم السيد حسن نصر الله، فإن

الواقع الفلسطيني به رجال أيضا، بعضهم استشهد من أمثـال الشهيد فتحي الشقاقي، وبعضهم لا يزال حيا، مع الأخذ فـي الاعتبار أن الخطاب السياسي لكل من راغب حرب وعباس الموسوي شديد التشابه مع الخطاب السياسي لكل من راغب حرب وعباس الموسوي شديد التشابه مع الخطاب السياسـي لفتحي الشقاقي، والثلاثة قدموا أرواحهم كدليل على الـوعي والإخلاص، وفي الواقع الفلسطيني هناك الشيخ أحمد ياسـين "حركة حماس" ولكن خطابه السياسي مختلف بالطبع، ربمـا لأن الواقع الفلسطيني مختلف.

إذن فالخطاب السياسي القادر على تحريك الجماهير فـي كل من لبنان وفلسطين موجود، بل ربما كانت الآثار الفكرية للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي أكثر من تلك الخاصة بالشـيخ راغب حرب وعبـاس الموسـوي، هـذه نقطـة لصـالح الفلسطينيين، وكذلك هناك ملحمة متصلة أكثر عمقًا تتصـل بذلك الخطاب منذ ثورات العشرينات والثلاثينات وعز الدين القسام "الشيخ المجاهد" في حين أن الخطاب السياسي لحزب الله وإن كان عميقًا في التربة اللبنانية وسابقًا على نشأة حزب الله بالطبع، إلا أنه لا يصل إلى عمق الخطاب الفلسطيني بهذا

الصدد، ونقصد ذلك الخطاب الذي يستلهم الإسلام في الكفاح الشعبي ويعتبر القضية الفلسطينية قضـية مركزيـة للأمـة الإسلامية والجماهير العربية.. وأن الكفاح الشعبي المسـلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، كامل التراب الفلسطيني وأن إسرائيل لا تفهم سوى لغة القوة، وأن الصراع صـراع حضاري عنيد في الزمـان والمكـان، وأن إسـرائيل غُـدة سرطانية، ومفرزة استعمارية متقدمة في المنطقة، ووكيل عن الاستعمار الغربي في إطار الصراع ضد ذلـك الاسـتعمار لتحقيق التحرير والنهضة..

الظروف التي نشأ فيها حزب الله وطريقة نشـأته – فـي رأينا ظروف أشد صعوبة من مثيلتها الفلسطينية، فحزب الله نشأ بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنـان عـام ١٩٨٢، وذلـك الاجتياح الذي شهد مقاومة باسلة من مجموعـات إسـلامية مرتبطة بكل من عباس موسوي وراغب حرب، ومـن ثـم تطورت فكرة المقاومة إلى حزب الله مع الأخذ في الاعتبـار هنا أن الظرف آنذاك كان هيمنة إسرائيلية واحتلالاً وحكمـا مارونيا عميلاً "بشير الجميل" وخروج المنظمات الفلسـطينية من بيروت، ثم حربا أهلية لبنانية استغرقت أكثـر مـن ١٠

سنوات، وتشرذما عربيا غير عادي بعـد توقيـع الـرئيس المصري السابق أنور السادات لاتفاقية كامـب ديفيـد عـام ١٩٧٩، والشيء الوحيـد الإيجـابي كـان الـدعم النفسـي والمعنوي لجماهير الشيعة في لبنان – وهم العمود الفقـري لحزب الله - بعد انتصـار الثـورة الإيرانيـة عـام١٩٧٩، والاهتمام الشخصي للإمام الراحل آية الله الخُمينـي بقضـية المقاومة ضد الكيان الصهيوني ودعم القضية الفلسطينية..

الخلفية الفلسطينية أكثر اتساعا، فـإذا كانـت المقاومـة اللبنانية قد نشأت في أحضـان المواجهـة ضـد الاجتيـاح الصهيوني، فإن ظروف انتفاضة عام ١٩٨٦ خلفت أوضاعا فلسطينية أفضل، وكذلك فإن الموضـوع الطـائفي – وهـو اعتماد حزب الله على عناصر الشيعة تحديدا في لبنان – وإن كان تجاوز ذلك في حركته وخطابه السياسي واستطاع بنـاء علاقات جيدة مع مختلف الطوائف، إلا أنه يظل في النهايـة حزبا شيعيا – فإن حزب الله في فلسطين لـو تكـون مـن المقاومة الإسلامية لن يعاني مثل تلك المشكلة، وسوف يمثل كل الشعب الفلسطيني بلا استثناء المسلم والمسيحي على حد سواء، لأن المسألة الطائفية هنا غير مكرسة، وهي ميـزة لا

شك فيها لصالح الفلسطينيين.. وإذا قلنا إن تعميـد المقاومـة اللبنانية بالدم والشهادة وبالتالي المصداقية جاء عبر حادثـة نسف مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور عام ١٩٨٣ على يد أمير الشهداء قاسم قصير، فإن المقاومة الإسلامية في فلسطين المحتلة قد نفذت عشرات العمليات الاستشهادية على مدى العشر سنوات السابقة، على يد رجال "حماس والجهـاد الإسلامي"، وهي عمليات لا تقـل أهميـة عـن العمليـات الاستشهادية لحزب الله.

وإذا كان حزب الله في لبنان قد اعتمـد سـلاح الإيمـان والإرادة، وآمن بأن الإنسان أقوى من التكنولوجيا، وأن إرادة الأمة أقوى من كل ترسـانات الأسـلحة ومكـر الأجهـزة الاستخباراتية، وأن بالإمكان هزيمة الكيان الصهيوني، وأثبت بانتصاره على إسرائيل وإجبارها على الفرار مـن جنـوب لبنان بلا قيد أو شرط، أن بإمكان قوة صـغيرة مكافحـة أن تنتصر على أقوى قوة إقليمية ومن ورائها أكبر قوة عالمية، وكل هذا بالطبع موجود في تراث حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية وحاضر في ذمتها و أدبياتها، وربما الشيء الوحيد في هذا الصدد هو أن التأييد الإيراني ـ والدعم بالتـالي وإن

كان موجودا في الحالتين - فهو أكثر عمقًا واتساعا في حالة حزب الله اللبناني..

من وجهة نظرنا فإن الظروف الموضوعية في فلسطين المحتلة تساعد أكثر في إذكاء روح المقاومة، فمعاناة الفلسطينيين الشديدة أكثر بالطبع من معاناة الشعب اللبناني، وإسرائيل التي تحاصر المناطق وتحرم الفلسطينيين من العمل وتدني الأوضاع الاقتصادية في غزة والضفة وتفشي حالة البطالة، والقمع الإسرائيلي المستمر كلها أمور تصب في خانة الثورة والمقاومة، بل وفشل مشروع أوسلو والتسوية وإحساس الفلسطينيين بعدم جدوى السلام على مستوى الكرامة الوطنية، وعلى مستوى الظروف المعيشية، كل هذا جعل الشعب الفلسطيني برمته في حالة استنفار – فظهره إلى الحائط وكرامته مجروحة، وكذلك فإن هناك عمقًا استراتيجيا مهما يتمثل في وجود ١,٢ مليون فلسطيني عربي يعيشون داخل أراضي ١٩٤٨، وهؤلاء بدورهم يتعرضون للقمع والاضطهاد والتمييز العرقي على يد الدولة، وعلى يد المستوطنين والمتطرفين والإسرائيليين، وهويتهم وإحساسهم بالقضية متصاعد ولم يعد محل شك، وهؤلاء يمثلون اختراقًا

مهما في جسم المجتمع الإسرائيلي، فهم يعيشون تحت جلـد الإسرائيليين وفي نخاعهم العظمي، وإذا ما تم استخدام هـذه الورقة فإن نهاية إسرائيل قريبة جدا إن شاء الله تعـالى، إذا فإن وجود الفلسطينيين سـواء داخـل أراضـي ١٩٤٨ أو المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ تحت جلد إسرائيل هـي ميـزة مهمة للمقاومة الفلسطينية، والإسرائيليون أنفسهم يدركون هذه الحقيقة، وقد عبر عن ذلك عدد من كبـار ضـباط العـدو الصهيوني، فقد نقلت صحيفة معاريف الصهيونية عن ضابط إسرائيلي كبير في قطاع غزة قوله إن الجنود الصهاينة الذين خدموا في جنوب لبنان ولم يخشوا حزب الله يخافون الآن من الخدمة العسكرية داخل قطاع غزة، وقد اعترف أحد الضباط بذلك بقوله:

"إن الخوف الذي يأخذ تعبيراته في حالات الانهيار النفسي التي تعرض لها العشرات من الجنود أثناء تأديـة مهـامهم العسكرية في قطاع غزة......"، وفسر ضـابط آخـر ذلـك بقوله:

"إن شعوري بالخوف من الخدمة في قطاع غزة رغم أنني خدمت في جنوب لبنان هو إننا كنا نواجه حزب الله في لبنان

وهو بعيد عنا في أغلب الحالات لكننا في قطاع غزة نشعر بأن حزب الله يعيش معنا لحظة بلحظة، يسير معنا في الطرقات، كل طفل، كل امرأة، كل شرطي فلسطيني يقابلك في الطريق يمكن أن يتحول فجأة إلى عنصر حزب الله ويطلق عليك النار من مسافة قصيرة أو يتفجر بالقرب منك"..

وإذا كان حزب الله في لبنان قد استخدم مقولة أنه حركة تحرر وطني يريد تحرير الأراضي اللبنانية، وبالتالي استطاع أن يكتسب مشروعية لبنانية وعربية وعالمية رغم أنف الجميع، فإن ذلك موجود بالنسبة لحالة المقاومة الفلسطينية بل وبصورة أشمل، فكل فلسطين محتلة وكل الشعب يعاني من الطرد والمذابح والقمع..

وإذا كان حزب الله قد استخدم الخطاب الإسلامي المجاهد في حشد جماهيره والحصول على تأييد شعبي عربي وإسلامي، واستطاع أن يمتلك وجدان الجماهير العربية، بالتالي فإن ذلك أيضا متاح بالنسبة للمقاومة الفلسطينية، بل هناك ميزات نوعية مهمة في هذا الصدد، فالنصوص الدينية تدعو إلى قتال الإسرائيليين تحديدا وتتحدث عن صراع على

أرض فلسطين، وأن أرض فلسطين أرض مباركـة، وكـذا وجود المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية يجعل الوجدان الجماهيري في حالة توتر دائم.. وكل هذا لصالح المقاومة..

لو أجمعت فصائل المقاومة الفلسطينية أمرها، وارتفعـت فوق خلافاتها واتخـذت طريـق حـزب الله، فـإن الكيـان الصهيوني الذي بدا هشًا أمام سكين المقاومة اللبنانية سيكون أكثر هشاشة أمام المقاومة الفلسطينية، ولن يصمد التماسـك الاجتماعي الإسـرائيلي كثيـرا، وسـوف يحـدث التفسـخ والتشرذم بين فئات المجتمع الإسرائيلي، وربما نكتشـف أن نهاية إسرائيل تحت وطأة المقاومة قريبة جدا، بل أقرب من العين إلى الحاجب..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. محمد مورو